الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الثانية والثلاثين
ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ - كانون الثاني ٢٠١٨م

العدد
٣٧٥

كلمة الوعي:

خطة ترامب للسلام في الشرق الأوسط:

(صفقة القرن: تصفية القضية الفلسطينية).

الأئمة الأربع

منارات هدى
على مر الزمان

ص ٣٣

(الاستغفار العام)

حاجة كل مسلم

ص ٤٩

الخدمات والمرافق العامة
في دولة الخلافة ص ٢١

جامعية – فكرية – ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

كلمة الوعي: خطة ترامب للسلام في الشرق الأوسط:
(صفقة القرن: تصفية القضية الفلسطينية) ٣
– أثر الإرادة السياسية على نهوض الدول،
وطريقة الإسلام في اكتسابها (٤) ١٠
– حركات السلام اليهودية، وواجب المسلمين تجاهها (٩) ١٥
– الخدمات والمرافق العامة في دولة الخلافة (٤)
المبحث الرابع: ملكية عامة وخدمات عامة ٢١
– مدلول الشهادتين (٤)
دور العلماء والجماعات الإسلامية في تحقيق شمول العبادة ٢٧
– الأئمة الأربع: منارات هدى على مر الزمان ٣٣
– أخبار المسلمين في العالم ٣٧
– مع القرآن الكريم: ٤١
– رياض الجنة: (الاستغفار العام) حاجة كل مسلم ٤٨
– حدائق ذات بهجة: ٥٠
– كلمة أخيرة: سياسات ترامب وموقفها من القدس
تعزل أميركا وتكتل العالم ضدها! ٥١
– غلاف أخير: أبرز ملامح استراتيجية ترامب
الجديدة للأمن القومي ٥٢

العدد ٣٧٥
السنة الثانية والثلاثين
ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ
كانون ثاني ٢٠١٨م

ثمن النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

خطة ترامب للسلام في الشرق الأوسط:

(صفقة القرن: تصفية القضية الفلسطينية)

في تقرير شامل لصحيفة" نيويورك تايمز استعرض جوانب مخطط شرع الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، وفريق مستشاريه على التحرك به لإنهاء الصراع الفلسطيني-(الإسرائيلي) الممتد لعقود. والذي يعتبر من أشد نزاعات العالم استعصاء على الحل، وذكر التقرير أن ترامب قرر دخول التحدي، وتحقيق نجاح حيث فشل رؤساء آخرون، وأن الخطوة عنده جادة. وهو من أجل ذلك، التقى ثلاث مرات بكل من نتنياهو وعباس على حدة، وبسبب تعيين صهره جاريد كوشنر كبيرًا لمستشاريه، وجعله من ضمن الفريق الذي شكله لإنهاء حالة الصراع... ويقول ترامب إنه سيكون "الاتفاق النهائي".

ذكرت «نيويورك تايمز» أن ترامب يعتبر نفسه صانع اتفاقات. ولكن التقرير وصف هذا المسعى بأنه مغامرة، ووصف ترامب وفريق مستشاريه أنهم حديثو العهد نسبيًا بمسار السلام بالشرق الأوسط. ثم إن ترامب وفريقه لا يجدون أدنى حرج في إظهار موالاتهم لـ (إسرائيل)، فالرئيس الأميركي افتخر سابقًا بكونه «الصديق الأكبر» لـها، فيما كوشنر، وغرينبلات، وفريدمان جميعهم من اليهود الأرثوذكس، وتجمعهم علاقات وثيقة معها. أي إن الحل سيكون لمصلحة (إسرائيل) بامتياز.

ولم يفت «نيويورك تايمز» الإشارة إلى أن المطامح بتحقيق السلام متعلقة بشبكة من الملفات الأخرى التي تطغى بالمنطقة، كما تجسد في الأيام الأخيرة من خلال المواجهة المتصاعدة بين المملكة العربية السعودية وإيران. وأضافت أن (إسرائيل) تشاطر السعودية المخاوف نفسها من إيران التي تسعى لإقامة ممر بري يخترق جنوب سورية، ومن حزب الله، والتي يمكنها أن تفشل أي مبادرة مع الجانب الفلسطيني. ومن جانب آخر، ذكرت الصحيفة الأميركية، أن فريق ترامب يرى تضافر عدة عوامل تجعل اللحظة ملائمة لتقديم مبادرة جديدة، بما في ذلك رغبة الدول العربية في التوصل لحل نهائي للنزاع؛ وذلك من أجل التركيز مجددًا على إيران، التي يعتبرونها التهديد الأكبر.

- وعن تفاصيل هذه الخطة، نشر موقع «ميدل إيست آي» البريطاني تقريرًا عنونه بـــ «خطة ترامب التي لا خطة بعدها... إنذار نهائي للفلسطينيين». ما قال إنها تفاصيل حصل عليها حصرًا لمضمون خطة الرئيس الأميركي دونالد ترامب بشأن عملية التسوية بين الفلسطينيين و(الإسرائيليين).

وذكرت عربي٢١ التي ترجمت هذا التقرير: «إن فريقًا أميركيًا يضع «اللمسات الأخيرة» على الخطة التي باتت تعرف باسم «صفقة القرن». وينقل الموقع عن دبلوماسي غربي تفاصيل الخطة وقال إنها ستشتمل على ما يلي:

أ- إقامة دولة فلسطينية تشتمل أراضيها على قطاع غزة والمناطق «أ» و«ب» وبعض أجزاء من منطقة «ج» في الضفة الغربية.

ب- ستقوم الدول المانحة بتوفير عشرة مليارات دولار لإقامة الدولة التي ستشتمل بنيتها التحتية على مطار وميناء في غزة، ومساكن ومشاريع زراعية ومناطق صناعية ومدن جديدة.

ت- تأجيل وضع مدينة القدس وموضوع عودة اللاجئين إلى مفاوضات لاحقة.

ث- ستشمل المفاوضات النهائية محادثات سلام إقليمية بين إسرائيل والأقطار العربية بقيادة المملكة العربية السعودية.

ويلفت الدبلوماسي الغربي إلى أن جاريد كوشنر، مستشار ترامب الخاص ورئيس فريق عملية السلام، زار السعودية مؤخرًا وأطلع ولي العهد الأمير محمد بن سلمان على الخطة «وطلب من السعوديين المساعدة في إقناع الرئيس الفلسطيني محمود عباس بقبول الخطة، والتي سوف تقدم بشكل رسمي في مطلع ٢٠١٨».

ويقول الدبلوماسي الذي يصفه الموقع بـ«المقرب جدًا من فريق الولايات المتحدة» إن محمد بن سلمان التقى بمحمود عباس في مطلع شهر نوفمبر/تشرين الثاني لإطلاعه على المقترح، وطلب منه قبول الخطة، وبأن يكون إيجابيًا في التعامل معها. ويوضح الدبلوماسي أن محمد بن سلمان «متحمس جدًا للخطة، وهو حريص على رؤية صفقة سلام تبرم بين الفلسطينيين والإسرائيليين أولًا، ثم بين إسرائيل والأقطار العربية، كخطوة أولى لتشكيل تحالف بين السعودية وإسرائيل لمواجهة التهديد الإيراني".

وقال الدبلوماسي إن محمد بن سلمان أخبر كوشنر بأنه «على استعداد لاستثمار كميات كبيرة من المال في الصفقة، وإنه سيقدم للقيادة الفلسطينية الحوافز الضرورية مقابل رد إيجابي".

في المقابل ينقل الموقع عن مسؤولين فلسطينيين قولهم إن الرئيس محمود عباس التقى بمحمد بن سلمان أثناء زيارته الأخيرة إلى الرياض، حيث عرض عليه "زيادة الدعم المالي للسلطة الفلسطينية إلى ما يقرب من ثلاثة أضعاف من ٧,٥ ملايين إلى عشرين مليونًا في الشهر».

ويشير الموقع نقلًا عن أحد مصادره القول إلى أن ابن سلمان أخبر عباس أن "التهديد الإيراني للأقطار العربية بالغ الخطورة»، وأكد له أن السعوديين في حاجة ماسة إلى دعم الولايات المتحدة و(إسرائيل) لمواجهة «الخطر الوجودي "الذي تشكله. كما ينقل الموقع عن مسؤول فلسطيني آخر لم يسمِّه قوله إن عباس «يعتقد بأن الخطة التي صاغها كوشنر ومبعوث الشرق الأوسط جيسون غرينبلات، جاءت في الأصل من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو»، مضيفًا: «هذه خطة نتنياهو، وهو الذي سوَّقها للفريق الأميركي، وهم الآن يسعون لتسويقها إلى الفلسطينيين والعرب».

- نشر الصحافي الفرنسي كريستوف عياد

مقالًا في صحيفة «لوموند» الفرنسية تحت عنوان: «محور أميركي سعودي إسرائيلي غير مسبوق يرتسم في الشرق الأوسط». كتب فيه أنه بمجرد أن تحوّل تنظيم «داعش» الإرهابي إلى العدم، بدأت الصراعات التي كانت نائمة، أو التي دُفع بها إلى مستوى ثانوي، فترة ذروة وانهيار مشروع التنظيم، تستيقظ في الشرق الأوسط... وذكر أيضًا أن القضاء على تنظيم «داعش» أتاح ظهور الصراع الخفي بين السعودية وإيران، المدرج تحت اسم فضفاض وخادع، هو «الحرب بين السنة والشيعة". ويرى كريستوف أن هذه النار عادت للاشتعال، تذكيها الولايات المتحدة، من خلال تشكيك الرئيس دونالد ترامب في الاتفاق النووي بين إيران والدول العظمى الست.

وأضاف الصحافي الخبير بالشؤون العربية، وصاحب مؤلفات عن مصر والأردن وسورية ولبنان، بأن «ما يرتسم حاليًا في الشرق الأوسط هو محور غير مسبوق بين السعودية وإسرائيل والولايات المتحدة، توحدها كراهيتها المشتركة للنظام الإيراني، وإرادتها في لجم نفوذها في المنطقة».

ويضيف أن صهر ترامب، جاريد كوشنر، لم يتوقف منذ شهر يناير/ كانون الثاني عن التنقل بين تل أبيب والرياض وأبوظبي، من دون أن يتسرب شيء من هذه التنقلات، والتي يرى الصحافي الفرنسي أنها «تنفيذ لحلم إسرائيلي قديم، يتمثل في التقريب بين العرب، على الأقل ممالك الخليج، وإسرائيل».

ويرى أن (إسرائيل)، بسبب عداء المنطقة لها منذ نشوئها، وفي غياب دولة فلسطينية، تجد نفسها مرغمة على العثور على حلفاء أو على قوى «صديقة» على الأقل.

ويرى أن «إسرائيل والسعودية لا يمكنهما أن تقبلا سعيَ إيران الدائم لامتلاك أسلحة الدمار الشامل، والذي تريد منه إيران تأمين تفوقها الاستراتيجي».

وذكر كريستوف عياد: «إن هذه الحركة التي كانت خلال فترة طويلة بطيئة وسرية تسارعت مع وصول جيل جديد إلى السلطة في الخليج، لا يجد حرجًا من تابوهات (محرمات) أسلافه». ويضيف: «إن محمد بن سلمان، الرجل القوي في السعودية، ومحمد بن زايد، الرجل القوي في الإمارات، لا يثقلان نفسيهما بالقضية المقدسة الفلسطينية؛ لأن هوَسَهُما هي إيران، كما هي هوَس إسرائيل، والتي أدركت أنه من السهل تقسيم العرب، حين لا يفعلون ذلك بأنفسهم، كما حدث في الأزمة الحالية مع قطر".

إن ما رشح عن مشروع «صفقة القرن» هذا، يقوم على عملية تبادل الأراضي حيث يتنازل الفلسطينيون عن مساحة متفق عليها من الضفة وهي الكتل الاستيطانية التي أقامتها (إسرائيل) على أرض (يهودا والسامرة) وجزء من الغور، وبهذا تحتفظ بـ»المدن الاستيطانية» التي وصفها باراك بـ»المساحة الحيوية» وكثير منها «أراضٍ دينية» وفق المفهوم الديني اليهودي، وتتجاوز ما حققته من اختلاس أراضٍ عند بنائها الجدار العازل، وفي

مقابل ذلك يأخذ الفلسطينيون نظيرتها من أراضٍ في سيناء بموازاة حدود غزة، وستحصل مصر من (إسرائيل) على مساحة مكافئة من وادي فيران جنوب صحراء النقب.

وسيتم تسويق هذه الصفقة بالدعاية لدى الفلسطينيين باعتبارها حلًا لأزمة غزة التي تكتظ بالسكان، ولا فرصة لإقامة ميناء حقيقي فيها، ولكن بالتوسع على الساحل يمكن ذلك مع تمنيتهم بفرصة وجود حقول غاز، ومطار دولي، وبناء مدينة جديدة لمليون شخص. وفي الوقت نفسه، يمكن بهذا التوسع، حل مشكلة اللاجئين باستقدامهم من لبنان وبعض اللاجئين في سوريا والأردن، هذا عدا عن النمو الاقتصادي غير المسبوق باعتبار غزة الموسعة ستكون مركزًا تجاريًا دوليًا.

أما الخطط التي سترافق صفقة القرن هذه فهي ذات بعدين:

١- اقتصادي: من مظاهره ما تم من تخلي مصر السيسي عن جزيرتي تيران وصنافير للسعودية، ومن ثم إطلاق محمد بن سلمان ولي العهد السعودي لمشروع مدينة نيوم العملاقة البالغة قيمتها ٥٠٠ مليار دولار، والذي سيمتد ليشمل الحدود المصرية والأردنية، وليربط ٣ قارات ببعضها، على مساحة تصل إلى ٢٦,٥٠٠ كم٢. وأكد خبراء اقتصاديون أن مشروع «نيوم» هو أضخم مشروع استثماري سعودي تطلقه السعودية، مشيرين إلى أن (إسرائيل) هى المستفيد الأكبر من هذا المشروع، وهذا المشروع سيكون من ضمن حزمة من المشاريع الاقتصادية التي سيتعلق إقامتها بوجود حالة السلام مع (إسرائيل).

٢- سياسي: وهو ما سبق ونقلناه في بداية هذا المقال من أن هناك خوفًا حقيقيًا لدى دول الخليج من دور إيران التوسعي في المنطقة وقيامها بمد نفوذها فيها بشكل يجعل حكامها مهددين بالتغيير، وهذا ما ذكرته الـ «نيويورك تايمز»: من أن «إسرائيل تشاطر السعودية المخاوف نفسها من إيران». وما ذكره موقع «ميدل إيست آي» البريطاني: من أن محمد بن سلمان «متحمس جدًا للخطة، وهو حريص على رؤية صفقة سلام تبرم بين الفلسطينيين والإسرائيليين أولًا، ثم بين إسرائيل والأقطار العربية، كخطوة أولى لتشكيل تحالف بين السعودية وإسرائيل لمواجهة التهديد الإيراني». وما ذكرته صحيفة لوموند الفرنسية: من أن «ما يرتسم حاليًا في الشرق الأوسط هو محور غير مسبوق بين السعودية وإسرائيل والولايات المتحدة، توحدها كراهيتها المشتركة للنظام الإيراني، وإرادتها في لجم نفوذها في المنطقة».

إن ترامب هذا، تظهر عليه الجدية في إنهاء مختلف الملفات العالقة، وفي حل نهائي لمختلف المشاكل التي تمس المصالح الأميركية في العالم، ظهر ذلك بأخذ القرار الجدي للقضاء على تنظيم الدولة على خلاف ما كان عليه سلفه أوباما، وظهر في التعامل مع الثورة السورية حيث أمر عملاءه في المنطقة (السعودية وتركيا) بالتدخل الجاد، بوصفهما دول داعمة؛ لإنهاء الصراع لمصلحة الأسد؛ فكان مؤتمر الرياض

الذي جرَّ رجلي المعارضة السياسية والعسكرية إلى مؤتمرات الخيانة (أستانة وجنيف المتعددَي الأرقام وسوتشي) وسقوط حلب الذي كان أردوغان المسؤول الأول عن سقوطها، وبالتالي قيامه بالتنسيق مع روسيا وإيران، هذا التنسيق الذي يهدف إلى إنهاء الصراع لمصلحة أميركا، وظهر باتخاذ ترامب موقفًا شديدًا من قطر التي تمول بعض الفصائل المسلحة لمصلحة بريطانيا، والضغط عليها لتكفَّ يديها عن ذلك، وهو الآن يريد أن يخوض المخاض الذي خاضه من سبقه من حكام أميركا في حل قضية المسلمين في فلسطين المزمنة والمستعصية، ويقول واثقًا إن الاتفاق سيكون "الاتفاق النهائي". ويعتبر نفسه أنه «صانع اتفاقات»... ويظهر أنه يرافق هذه الجدية خطة لأميركا في المنطقة ككل، وهي رسم سياسة مستقبلية لها فيها تستقر على تقسيم جديد، وحالة صراع ثابتة تجعل المنطقة واقعة في خضم من الصراع الذي سيتولى كبر زعامته تحالفان تسيطر عليهما أميركا: تحالف تقوده الفزَّاعة إيران في مقابل تحالف يضم (إسرائيل) وفيه دول مثل السعودية ودول الخليج وكل من هو ضد إيران. وفي هذا المجال تتسارع وتيرة الأحداث في المنطقة لتصب بهذا الاتجاه، من مثل المصالحة بين عباس وحماس ورعايتها من قبل مصر والسعودية؛ وذلك من أجل أن يحقق ترامب هدفه في السلام.

يتبين مما ذكر عدة أمور:

- يلاحظ أن السعودية بقيادتها الجديدة تريد السير مع الغرب بشكل علني، وتريد المجاهرة بالسير باتجاه تعميم المفاهيم الغربية، وهو ما تسميه «الانفتاح» في مقابل «الانغلاق» الذي كانت ترعاه وتمده عبر ما يسمونه بالوهابية. وهي تضع العلماء في السعودية الآن أمام خيار واحد، وهو السير معها وإلا السجن والملاحقة ستكون جزاء من يرفض، وقد أعطتهم نموذجًا مباشرًا بسجن الشيخ سلمان العودة وآخرين غيره.

- يلاحظ أن خطة «صفقة القرن» أعطت للسعودية دورًا قياديًا حيث ذكرت «ميدل إيست آي» أنها «ستشمل المفاوضات النهائية محادثات سلام إقليمية بين إسرائيل والأقطار العربية بقيادة المملكة العربية السعودية». فهي ستترأس الدول العربية لإنهاء الصراع مع يهود، وستترأس تحالفاً ضد إيران. وهذا واضح فيه أن أميركا تريد إدخال المنطقة في حالة من صراع مديد بين إيران ومن سيمشي معها تحت اسم «دول المقاومة والممانعة» أو أي اسم آخر جديد يناسب حالة الصراع الجديدة، وبين الدول العربية وعلى رأسها السعودية، ومعها (إسرائيل).

- ويلاحظ أن أميركا تريد إيجاد أرضية صراع بين تحالفين عدوين لبعضهما، عميلين لها؛ وبهذا تستطيع أن تدير الصراع بشكل يبقي المنطقة ضعيفة، وبشكل يجعل مشروع الأمة بإقامة الخلافة بعيد المنال نتيجة هذا الاقتتال المميت والمدمر والمستمر، والذي يعتبر بالدرجة الأولى أنه صراع داخلي. وهو أشد أنواع الصراع. فضلًا عن أنها بهذا تبقي المنطقة تحت سيطرتها.

- إن آل سعود يبدون ما كانوا يخفونه طوال عقود كثيرة. فهم كانوا منذ بداياتهم عملاء لبريطانيا، استخدمتهم، من بين من استخدمتهم، كمعولٍ لهدم الخلافة الإسلامية. وهم مع سلمان وابنه، وقد انتقلوا في عمالتهم إلى أميركا، يريدون أن يكونوا حائلًا دون عودة الخلافة، والتي أصبحت مطلب الأمة، من جديد. وكما كان موقفهم مع بريطانيا من قبل من أجل أن يتربعوا على كرسي الحكم، فهم الآن مع أميركا لنفس الهدف، وهم بالفعل يتصدرون الدول المحاربة للإسلام تحت ذريعة (محاربة الإرهاب).

- إن علماء السعودية يجب أن يصحوا من غفلتهم، فإنهم كانوا يخدمون حكامًا أعداء للدين، ويثبتون بفتاواهم أركان حكمهم، ويجعلون المسلمين في السعودية ينظرون إلى حكامهم أنهم أولياء أمور شرعيين بينما هم ليسوا من ذلك في شيء. وهذه الأحداث والتحولات إن كان فيها خير فهو هذا الانفضاح لهذه الأسرة الحاكمة، والذي عسى أن تقوَّم به الأوضاع الشاذة هناك... وما على العلماء الذين خدعوا تلك السنين الطويلة إلا أن يعوضوا عن غفلتهم بمزيد إصرار على التغيير، وبحسب طريقة الرسول ﷺ، ومن أولى منهم بذلك؟!.

- إن حكام العرب، ومنهم عباس، هم على اطلاع على الخطة، والمشكلة عند أميركا، وعند اليهود ليست في الحكام، وإنما في الشعوب. وهذا ما صرح به نتنياهو رئيس وزراء (إسرائيل) في ٢٠١٧/١١/٢٢م في كلمة ألقاها في البرلمان (الإسرائيلي) «الكنيست»، بمناسبة الذكرى الأربعين لزيارة الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات، لـ(إسرائيل): «إن العقبة الكبرى أمام توسيع السلام لا تعود إلى قادة الدول حولنا، وإنما إلى الرأي العام السائد في الشارع العربي والذي تعرض خلال سنوات طويلة لغسل دماغ تمثل بعرض صورة خاطئة ومنحازة عن دولة إسرائيل".

- يبدو أن الأمر مستعجل لدى أميركا؛ لأن ذلك يتعلق بخطتها للمنطقة ككل، ومن ضمنها الصراع مع إيران، ولا يحتمل التأخير. وهو بدأ تنفيذه بإعلان ترامب القدس عاصمة لـ (إسرائيل). والحكام يعلمون مسبقًا كيف ستكون ردة فعل الشارع العربي عمومًا والفلسطيني خصوصًا، وإن المطلوب من هؤلاء الحكام: أولًا امتصاص غضبة الشارع الإسلامي، ثم بعد ذلك يتم التعامل مع الخطة كأمر واقع... من هنا يجب النظر إلى خطابات الحكام وتصريحاتهم من هذا الباب، وليست هي مواقف صادقة تعبر عن حقيقة مواقفهم.

إن قضية فلسطين هي قضية المسلمين جميعهم، وهي عندهم قضية إسلامية بامتياز، وهي أكبر من قدرة أميركا على حلها، ولن يحلها إلا الإسلام، وأن حلها يكون بالقضاء على (إسرائيل) كدولة قائمة على الاغتصاب... هذا ما أخبرنا به رسولنا الكريم بقوله «**تقاتلكم يهود فتقتلونهم...**» وإن ما يحدث في المنطقة من تحول في مواقف الدول بأوامر أميركية لن يحقق شيئًا سوى فضح مواقف تلك الدول، وخاصة

السعودية التي كانت تدعي أنها دولة إسلامية، ويتولى العلماء الرسميون كبر الدعاية لهذا، والتي تدعي الحرص على القضية الفلسطينية.. ولا تستثنى من ذلك إيران التي تتيح لها أميركا أن تأخذ دور الفزَّاعة بهدف جعل حكام الدول الأخرى الخائفة منها، وخاصة حكام الخليج، يرتمون في أحضانها.

إن أبرز ما يلفت النظر في هذه الخطة هو الدور السعودي الذي استدار ١٨٠ درجة، وكسر كل ما كان يعتبره من المحرمات، والسير في طريقٍ ما تجرَّأ النظام السعودي من قبل على السير فيه بمثل هذا الانفضاح، والتسرع الملحوظ... فهو يريد أن يتحالف مع (إسرائيل) أعدى أعداء الأمة الإسلامية على مختلف العصور، ويريد أن ينقل السعودية إلى الحداثة الغربية المتهتكة والمناوئة للإسلام، ويهدد العلماء الذين طالما كانوا ردءًا له، ويزج ببعضهم في السجون، ويأمرهم بتغيير طريقتهم في فهم الدين، وأن عليهم مباركة أي خطوة سيقوم بها، إن لجهة الإفتاء بجواز الصلح مع يهود، والاستدلال بصلح الحديبية... أو لجهة معاداة (الشيعة) ووصفهم بالفرس والمجوس، وأنهم أعدى أعداء الدين؛ حتى أخذه الحال بكسر تقاليد العائلة المالكة في التوريث، وهو في كل هذا يسير بخطوات مليئة بالتحدي لا يتوقع أن تصل إل شاطئ هادئ، بل لن تصل إلا إلى إيجاد بلبلة وفوضى في السعودية، وفي المنطقة، ونسأل الله أن يجعل في هذا خيرًا، وأن يرتد مكرهم عليهم.

إن الدور الذي تقوم به كل من السعودية وإيران من الانخراط في تحالفين متصارعين، يوهن المسلمين، ويجعل للكافرين عليهم سبيلًا، وهي خطة تريد منها أميركا أن تجعل بأس المسلمين بينهم. وهذا من شأنه أن يسقط كل من يسير مع الشيطان الأكبر أميركا.

والآن السؤال هو: هل ستنجح هذه الخطة؟ فإننا نقول: إن خطة زرع (إسرائيل) نفسها لم تنجح، ولن تنجح؛

فإن أهل فلسطين هم أهل الأرض المباركة، وهم الذين يُعلمون غيرهم من المسلمين كيف تكون المقاومة، وهم لو كانوا على غير ذلك لضاعت فلسطين منذ زمن. ولكنها كانت عصية على كل محاولات أميركا والغرب، وبقيت هذه القضية هي الأهم من بين قضايا المسلمين، ولم يخفت ضوءُها، بل على العكس... وكم هو ساذج، وترامب أولهم، من يريد أن يختصر حل هذه القضية بتبادل الأراضي، أو أن يمر إعلان القدس ببعض المظاهرات.

أيها المسلمون: إن فلسطين لن يحررها إلا الإسلام، إلا الخلافة الراشدة، والتي تشير كثير من الدلائل على قرب إقامتها بتوفيق الله، وحتى عند دول الغرب المعادية للإسلام، فإن الخلافة تحديدًا قد آن أوانها؛ فهي عندنا، نحن المسلمين، وعد صادق من الرسول المصدوق، وهي أصبحت مطلب الأمة جمعاء، ومهما خطط ومكر ترامب وأمثاله، فإن قول الله تعالى هو الغالب: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ ■

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر الإرادة السياسية على نهوض الدول، وطريقة الإسلام في اكتسابها (٤)

هذا هو الحال الذي وصل إليه المسلمون اليوم، وهم أقرب من أي وقت مضى من احتضان الخلافة فكريًا وعمليًا، وما على العاملين إلا مواصلة العمل في أوساط المسلمين دون كلل ولا ملل، آخذين بعين الاعتبار أمورًا منها:

١ - المزيد من الثبات على الحق الذي أيدهم الله به، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ **[الأحقاف/٣٥]**

٢ - الإكثار من مخاطبة الأمة جماهيريًا في كل محفل متاح، بالأسلوب القوي الحكيم المؤثر، وترغيبهم بخير العمل، الخلافة تاج الفروض، وتحفيزهم إلى هذا العمل العظيم، وما فيه من أجر وثواب لكل من تلبَّس به على وجهه دون حيد قيد شعرة عنه، وأن هذا العمل سيبلغ منتهاه بإذن الله لا محالة. عَنْ خَبَّابٍ قَالَ: «**شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ؟ـ فَقَالَ: قَدْ كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ بِنِصْفَيْنِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**» [مسند الإمام أحمد].

٣ - التماس الأعذار لردات الفعل النشاز التي تصدر من بعض المسلمين هنا وهناك، والصبر والحِلم عليها؛ لأن العملية الصهرية التي تفرز الغثَّ من السمين عملية شاقة تحتاج إلى مجاهدة للنفس، ومجالدة عليها. لقد ترك العيش تحت وطأة الملك الجبري، لقرن من الزمان، أثره بل آثاره الخطرة على سلوك المسلمين، فكوَّن منهم أرتالًا من الناعقين، وطوابيرَ من المصفقين، كان لهم الأثر البالغ في حرف بوصلة الجماهير ناحية التخبط في السير والتقليد الأعمى لصنائع الجهل الذين انحطوا بالأمة إلى حضيض التبعية للكافر المستعمر. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ

﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف/١٠٣].

الفئة الرابعة: أهل القوة والمنعة.

لا شك أن الفكرة مهما كانت صحيحة وظاهرة فكريًا كفكرة الخلافة، لا يتحقق وجودها على أرض الواقع عمليًا إلا بالقوة التي تتبناها ماديًا، بقوة السلاح الذي قال الله فيه: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [غافر/٨٤ – ٨٥].

لقد كان رسول الله ﷺ مؤيدًا بالوحي في دعوته في مكة المكرمة، ومع ذلك، فما كان يقدر على سجدة يسجدها في البيت الحرام إلا بشق الأنفس، بل وكان سفهاء قريش يتمادَون في إيذائه وهو النبي المكرَّم! وما أمر الطائف وما فعله أهلها به عنا بغريب؛ لذلك فصحيح أن الفكرة تسمو في المجتمع إلى درجة الصعود إلى قمة هرم العمل السياسي، إلا أن هذا لا يجعل من الفكرة ظاهرة عمليًا إلا بالقوة التي تنصرها، وتُمكِّنُ لها في الأرض؛ فتصبح لها الكلمة الفصل التي تهابها الملوك والقياصرة، ويتحقق لها بالقوة الوجود والحضور في المحافل الدولية.

لقد بلغت فكرة الخلافة شأوًا عظيمًا في صعودها سياسيًا وفكريًا، حتى باتت اليوم الفكرة الأظهر في أوساط العمل السياسي في بلاد المسلمين، والأقوى عالميًا بلا منازع. ومع ذلك فلا نستطيع أن نقول إن الفكرة قد تمكنت؛ لأن طريقة العمل السياسي لاسترداد إرادتنا المفقودة لمـّا يكتمل نصابها بعد، ولن يكتمل نصابها إلا بالقوة العسكرية التي تقفز بها إلى سدة الحكم على أنقاض حكام الضرار، فتطمس على وجوههم وتسدل الستار عن حقبة الملك الجبري برمته.

والنصرة فكرة عملية واقعية أكدها الشرع وصدقها الواقع نفسه. أما الشرع، فإن النبي، عليه الصلاة والسلام، طلب النصرة وطرق أبواب أهل القوة والمنعة حثيثًا، واستمر على ذلك مع ما لاقاه من مشاق واكبت سعيه الدؤوب للوصول إلى أهل القوة والمنعة، حتى أذن الله تبارك وتعالى بنصرة رسوله الكريم، عليه الصلاة والسلام، ودعوته بالأنصار في بيعة العقبة الثانية، وهذه وحدها تكفي وتوفي المطلوب، فكيف وقد أكدت الحوادث أن كل عمل سياسي لا يتبنى النصرة طريقةً للوصول إلى الحكم، فإن مصير حركته اللولبية المحبطة للجهود والمبعثرة للطاقات إلى بوار. خذ مثلًا ما حدث مع الجماعة الإسلامية في مصر، والتي تبنت العمل العسكري طريقةً للوصول إلى الحكم، ومن ثم إعلان الخلافة الإسلامية، فهل نجحت الجماعة الإسلامية في إيصال الإسلام إلى سدة الحكم؟ كلا، إن شيئًا من ذلك لم يحصل، والذي حصل لا يعدو عن كونه فهمًا مغلوطًا لطريقة التغيير، فكان ما كان من تفكك للجماعة، وتنازل عن الطريقة، وذوبان للعمل كأن لم يكن قائمًا.

وكذلك فإن صناديق الاقتراع لم تشفع لجبهة الإنقاذ في الجزائر أمام صنائع الاستعمار الذين كانوا يمسكون بالجيش، مكمن القوة والمنعة، فكانت النتيجة من جنس الخلل في فهم طريقة التغيير مرةً أخرى، هذا الخلل الذي كلَّف المسلمين في الجزائر مئات الآلاف من الشهداء... ثم تكررت اللدغة من ذات الجحر في مصر الكنانة بعد ثورة يناير، عندما ظن الإخوان المسلمون أن الإمساك بالديمقراطية وأحابيلها سوف يُمكِّن لهم في الأرض، فكانت الفاجعة التي ما بعدها فاجعة، مجازر في رابعة العدوية، ودوس صناديق الاقتراع بمجنزرات الانقلاب العسكري، وثالثة الأثافي اعتقال الرئيس المنتخب (ديمقراطيًا)، وزجُّهُ في غياهب السجن، ثم ماذا؟ ثم تسريح الطاغية (مبارك) بإحسان، حقًا إن هذا لأمر عُجاب!

إن النصرة جزء لا يتجزأ من طريقة الرسول، عليه الصلاة والسلام، في إقامة الدولة الإسلامية، وهي ليست عُرفًا قبَليًا كان سائدًا عند العرب قبل الإسلام كما يروج المتنكرون لطريقة **حزب التحرير** في العمل لإقامة الخلافة، كما أنها ليست أسلوبًا اقتضته الظروف والمعطيات حينئذ، ولكنها حكم شرعي واجب الاتباع، وليس الاتباع مقصودًا لذاته، بل المراد الاتباع والحُسن في الاتباع، أي الحُسن في إنزال فكرة النصرة على الواقع بشكل ينجز المطلوب ويحقق الغاية المقصودة، وهي استلام الحكم وإقامة الخلافة.

لقد كان رسول الله، صلوات ربي وسلامه عليه، يطلب النصرة من القبائل التي يرى فيها مظنة القوة والنصرة الكافية لحمايته، وحماية دعوته، وحماية المسلمين، وإقامة الدولة، أي أنه كان يتخَيَّرُ من القبائل القوية منها، والقادرة على احتضان الإسلام وتطبيقه كاملًا غير منقوص، والقادرة على الوقوف أمام التحديات التي ستواجه الدولة، والعقبات التي ستقف أمامها.

وحُسن الاتباع للرسول، عليه الصلاة والسلام، في طلب النصرة، إنما يكون في حُسن إنزال الفكرة، فكرة النصرة، على الواقع؛ لأن النصرة بوابة التمكين للفكرة وإقامة الدولة الإسلامية، وهذه الدولة ليست دولة وطنية، ولا قطرية، ولا قومية، ولكنها دولة مبدئية عالمية، تتخذ من العالم كل العالم مجالًا لسيادة مبدئها الإسلام، وهذا أمر يدركه الكفار جيدًا، ولذلك هم يسعون بكل الوسائل إلى تأخير ميلاد دولة الخلافة ما استطاعوا، ولو استطاعوا وأد العمل لإقامتها في مهده لفعلوا منذ أمد بعيد، ولكن فكرة الخلافة قد تجاوزتهم والحمد لله، ومع ذلك، فإن التحديات التي ستواجه الخلافة حال قيامها ليست بالهينة التي لا يستهين بها إلا دراويش الصوامع، وكذلك ليست بالعصيَّة على التجاوز لدرجة التهويل من خطرها كما يفعل

العلمانيون والمرجفون والذين في قلوبهم مرض؛ من هنا كان لا بد من تحديد الأمكنة والأزمنة الصالحة والمناسبة لإنزال فكرة النصرة عليها، أي تحديد دول المجال التي تصلح أن ترتكز فيها دولة الإسلام كنواة أولى لدولة الخلافة التي تُبادر في الاتساع سريعًا حال ولادتها، حتى تضم باقي بلاد المسلمين إلى جسمها، ومن ثم الانطلاق بالدعوة الإسلامية في طول الأرض وعرضها لفتحها، حتى لا يبقى إرادة إلا للمسلمين، ولا سيادة لغير دين الله تبارك وتعالى القائل: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] .

وتحديد دول المجال الصالحة لارتكاز دولة الإسلام فيها أمر عظيم وعظيم جدًا، ويستوجب بذل أقصى الوسع في دراسة البلد جغرافيًا وسياسيًا وديمغرافيًا واقتصاديًا ولوجستيًا، دراسةً إنشائيةً ارتقائيةً محكمة، وهذا أمر تَعَهَّدَهُ من هم له أَهلٌ في **حزب التحرير**، سائلين الله تبارك وتعالى، أن يحفظهم ويفتح على أيديهم فتوح النصر والتمكين.

ولكن لا مانع في ذات الوقت أن نضع المسلمين في صورة إجمالية تتعلق بالنصرة ومقتضياتها؛ لأن في ذلك ذكرى نافعة لهم بأحكام الطريقة، وبُشرى بقرب النصر المبين بإذن الله تعالى.

إن جيوش المسلمين هي الفئة الأقوى اليوم في بلادهم، والقادرة على إيصال الإسلام إلى سدة الحكم؛ فهي إذًا موضع التفكير ومجال التخطيط العملي الدقيق لتنفيذ أفكار النصرة على أرض الواقع، والترجمة العملية لكل ذلك إنما تكون بِتَبَنِّي فئة مخلصة وكافية من هذه الجيوش في بلد أو أكثر استوفى شروط الدولة التي ترتكز فيها دولة الإسلام، ومن ثم قيام هذه الفئة بإسقاط النظام الحاكم في ذلك البلد بكل أركانه، وطمس معالمه كما يُطمس أثر قطيع الأغنام عن رمال الصحراء، والإعلان عن قيام الخلافة الإسلامية رسميًا في البلاد؛ إلا أنه ثمة أمور لا بد من استيفائها قبل إقامتها:

١ – ظهور العزيمة الأكيدة والنية الصادقة مع الله لدى أهل النصرة في تَبَنِّيهم للفكرة قبل تنفيذها.

٢ – لا يلزم وقوف أهل النصرة على تفاصيل فكرة الخلافة والأحكام المتعلقة بها، ولكن يكفي استيفاؤهم للأفكار الأساسية المتعلقة بها، مثل أن السيادة للشرع والسلطان للأمة، وبيعة خليفة واحد فرض على المسلمين، وحق الخليفة في التبني، ووجوب طاعته على العسر واليسر، والمنشط والمكره، ووجوب وحدة المسلمين في دولة واحدة، إلى غير ذلك من الأفكار الأساسية التي لا بد من بيانها.

٣ – على أهل النصرة أن يوطدوا أنفسهم على تحَمُّل كل ما يمكن ملاقاته في سبيل إنجاح

عملية استلام الحكم، حتى ولو أدى ذلك إلى هلاك النفس وذهاب النفيس.

٤ – السرية والتكتم على تفاصيل النصرة وجهازها، والحذر من تربُّص شياطين الإنس والجن الذين يبعثون سراياهم ليلًا ونهارًا من أجل إجهاض أي محاولة صادقة للانقلاب على الأنظمة الحاكمة في بلاد المسلمين.

٥ – ضرورة أن يكون قبول أهل القوة والمنعة نُصرة الحزب عن رضى واختيار منهم، وأن لا يكون في صدورهم حرج مما رضوا به، أو في نفوسهم شك في قدرتهم على إنجاز الأمر، أو مجرد تردد وإحجام عن تنفيذ المهمة بكل تبعاتها.

٦ – حُسن التوكل على الله سبحانه وتعالى، واليقين بأنه ناصر المستضعفين ولو بعد حين، وأنه مُنجزٌ وعده لا محالة، وأن الخلافة بشرى رسول الله، عليه الصلاة والسلام، قائمة بلا ريب، حتى لو اجتمع على المسلمين من بأقطارها.

٧ – استحضار الأجر العظيم الذي أعده الله سبحانه لأهل النصرة، وأنه ذات الأجر الذي حظي به الأنصار الأوائل الذين نصروا رسول الله، عليه الصلاة والسلام، أول الأمر في بيعة العقبة الثانية. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤﴾ [الأنفال: ٧٤] وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

وبعد:

لقد أفجعت نصرة الأنصار، رضوان الله عليهم، في بيعة العقبة الثانية الشيطان الرجيم وأصابته في مقتله. جاء عند الإمام أحمد في مسنده: «... فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَبْعَدِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجُبَاجِبِ (المنازل) هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ وَالصُّبَاةُ مَعَهُ، قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ؟ قَالَ، يَعْنِي ابْنَ إِسْحَاقَ: مَا يَقُولُهُ عَدُوُّ اللَّهِ؟ ـ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَذَا أَزَبُّ الْعَقَبَةِ، هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ، اسْمَعْ أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ لَأُفْرُغَنَّ لَكَ**» وستصيب شياطين الإنس والجن من دول الكفر مرة أخرى في مقتلهم حال تمامها قريبًا بإذن الله، وستعلم أميركا رأس الكفر، وستعلم أوروبا وروسيا وكيان يهود، وسيعلم معهم حكام الضرار، أن في الأمة رجالًا نذروا أنفسهم لله، وصبروا أنفسهم مع **حزب التحرير** داعي الخلافة والعامل لإقامتها، وستشرق الأرض بشمس الخلافة من جديد، ويهوي المُلك الجبري كما هَوَت أصنام الكفر والضلال من البيت العتيق ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ■

بسم الله الرحمن الرحيم

حركات السلام اليهودية، وواجب المسلمين تجاهها (٩)

نصل الآن إلى النقطة الأخيرة في هذا الموضوع، وهي: (الموقف الشرعي من مثل هذه الحركات المضلِّلة، وواجب المسلمين تجاهها)، ومن الداعين لها في أوساط المسلمين، وكيف نعمل لخلعها من أوساط المسلمين، وخلع مخاطرها الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والأمنية؟!. وقبل أن نذكر الموقف الشرعي وحكم مثل هذه الحركات المضلِّلة المخادعة،يجب أن لا يغيب عن أذهاننا كمسلمين ولو للحظة واحدة أن أساس حياتنا والمسيِّر لأعمالنا، والحَكَم على كل أمر من أمور الحياة، جل أو صغر هي: (عقيدتنا الإسلامية، وما انبثق عنها من أحكام نورانية ربانية)، فليست المصلحة، ولا الأموال، ولا ضغوطات الواقع السياسي، ولا ما تمليه الدول الكافرة على حكامنا هو الحَكَم في حياتنا. والزاوية التي ننظر من خلالها إلى المؤسسات والحركات والجمعيات، أو الميزان الذي نزِن به كل هذه الأشياء والأعمال؛ هو أحكام ديننا الهادي إلى سواء السبيل. فعندما ننظر إلى مثل هذه الحركات وأعمالها فإننا نبدأ أولًا: بزاوية العقيدة وموقف المسلم من الكفار قاطبة، وموقف المسلم من اليهود على وجه الخصوص، والموقف من اليهود المغتصبين لأولى القبلتين وثالث المسجدين على أخص الخصوص...

فما هو الموقف الشرعي من العلاقة ما بين المسلم واليهودي الحربي؟!، ومن هو اليهودي الحربي، ومن هو اليهودي غير الحربي؟!

وقبل أن نجيب عن السؤال في تحديد الموقف الشرعي من العلاقة ما بين اليهودي والمسلم، يجب أن نحدد **أولًا: واقع اليهود في فلسطين: ما هو، سواء أكانوا حركات سلام، أم غير ذلك...**

أما الحكم الشرعي، فهو معروف للقاصي والداني هو أن كل يهودي موجود على أرض فلسطين، وجاء من خلال الانتداب البريطاني، أو بعده، أو قبله ويعطي الولاء للكيان اليهودي المغتصب؛ فإنه يعتبر جزءًا من هذا الكيان، ويأخذ حكمه الشرعي. أما حكم الكيان اليهودي فهو كيان مغتصب، تنطبق عليه أحكام الكافر الحربي الذي يأخذ هذه الصفة بشكل دائم لا ينقطع طالما بقي شبر واحد من أرض فلسطين. فاليهود جميعًا في أرض فلسطين، ممن يعطون الولاء ويعترفون بكيان دولة اليهود **(إسرائيل) هم محاربون فعلًا، وتنطبق عليهم أحكام المحارب الفعلي**؛ في العلاقات والمعاملات، ولا فرق في ذلك، أي في هذا الحكم بين يهودي في حزب ميرتس، أو (حركة السلام الآن) أو في غيرها من أحزاب ليكودية، كما يسميها بعض الناس بالمتطرفة. فجميع الأحزاب اليهودية لها حكم واحد، وجميع اليهود في فلسطين، ممن يعيشون تحت مظلة الدولة، ويعترفون بها

هم (كفار حربيون) وهذا يعني أن كل يهودي قد دخل أرض فلسطين من بداية الانتداب البريطاني، تحت ظل الاغتصاب، هو محارب فعلي، ولا فرق بين رجل وامرأة، ولا شيخ ولا غير ذلك. والأدلة الشرعية كثيرة على هذا الحكم من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومن أقوال فقهاء الأمة. وقد ذكرنا الكثير منها في الحلقات السابقة من هذا البحث، ولا داعي لذكرها مرة أخرى... وننقل بعض الفتاوى التي تحدثت عن حكم اليهود داخل فلسطين من المغتصبين، والتعامل معهم؛ وخاصة في التطبيع والسلام وبيع الأرض...

- **جاء في (الفتوى المقدسية) بتاريخ ٣-٧-٢٠٠٩م** في حرمة بيع الأرض لليهود وفي بيان واقعهم: «وقد علم كل أحد أن اليهود في هذا الزمان **قوم محاربون للمسلمين اغتصبوا بلادهم ومقدساتهم،** ونهبوا خيراتهم، وشردوا أصحاب الأرض من أرضهم بعد أن قتلوا من قتلوا منهم، وتسلطوا على المسلمين في بقعة هي من أقدس بلاد المسلمين، فصار المسلمون وبيت المقدس والمسجد الأقصى وسائر المساجد فيها تحت سلطان هؤلاء اليهود، وهم يخططون ليل نهار لإفراغ هذه البلاد ممن تبقى فيها من أهلها بكافة السبل والحيل، والمكائد والضغوطات... ويسعون بخبث ومكر وإرصاد لهدم المسجد الأقصى، وإقامة هيكلهم المنشود، ولقد بيّن الله تعالى لنا عداوة يهود في القرآن العظيم فقال: ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].
- **وجاء في (الفتوى الأزهرية) سنة ١٩٥٦م** بتحريم الصلح أو السلام مع اليهود ووجوب الجهاد. وهذا جزء من نصها: «أما بعد، فقد اطلعت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف على الاستفتاء المقدم إليها عن حكم الشريعة الإسلامية، في إبرام الصلح مع إسرائيل التي اغتصبت فلسطين من أهلها وأخرجتهم من ديارهم وشردتهم نساء وأطفالًا وشيبًا وشبانًا في آفاق الأرض... **وتفيد اللجنة أن الصلح مع إسرائيل كما يريده الداعون إليه، لا يجوز شرعًا؛ لما فيه من إقرار الغاصب على الاستمرار في غصبه، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه، وتمكين المعتدي من البقاء على دعواه».**
- **وفي عام ١٩٨٩م أصدرت مجموعة من (صفوة علماء العالم الإسلامي)** فتوى بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين، وفيما يلي نص الفتوى: «الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والصلاة والسلام على من أُسري به إلى الأرض المباركُ فيها للعالمين، قبلة المسلمين الأولى، وأرض الأنبياء، ومهبط الرسالات، وأرض الجهاد والرباط إلى يوم الدين، وعلى آله الأخيار وصحبه، الذين عطروا بدمائهم الزكية تلك الأرض الطيبة حتى أقاموا بها الإسلام، ورفعوا فيها رايته خفاقة عالية، وطردوا منها أعداءه الذين دنسوا قدسه المبارك والكفر، وعلى الذين ورثوا هذه الديار فحافظوا على ميراث المسلمين ودافعوا عنه بأموالهم وأنفسهم، وبعد: فإن مهمة علماء المسلمين وأهل الرأي فيهم أن يكونوا عصمة للمسلمين، وأن يبصروهم إذا احتارت بهم السبل وادلهمت عليهم الخطوب... **ونحن الموقعين على هذه الوثيقة نعلن للمسلمين في هذه الظروف الصعبة أن اليهود هم أشد الناس عداوة**

للذين آمنوا، اغتصبوا فلسطين، واعتدوا على حرمات المسلمين فيها وشردوا أهلها، ودنسوا مقدساتها، ولن يقر لهم قرار حتى يقضوا على دين المسلمين... ونحن نعلم، بما أخذ الله علينا من عهد وميثاق في بيان الحق، أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، وأنه لا يجوز بحال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين، وليس لشخص أو جهة أن تقرَّ اليهود على أرض فلسطين، أو تتنازل لهم عن أي جزء منها، أو تعترف لهم بأي حق فيها... إن هذا الاعتراف خيانة لله والرسول وللأمانة التي وكل إلى المسلمين المحافظة عليها، والله يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٧]. وأي خيانة أكبر من بيع مقدسات المسلمين، والتنازل عن بلاد المسلمين إلى أعداء الله ورسوله والمؤمنين؟!.

- **ويقول الكاتب (عدنان عدوان) في مجلة (الوحدة الإسلامية) (عدد ١٧٢) في حكم التطبيع مع اليهود:** «بغضِّ النظر عن الشكل، فإن فحوى التطبيع مع العدو الصهيوني يبقى واحدًا وهو(**جعل الوجود اليهودي في فلسطين أمرًا طبيعيًا، وبالتالي فإن أي عمل أو قول أو صمت أو تقاعس؛ يؤدي إلى التعامل مع الوجود اليهودي في فلسطين كأمر طبيعي، يحمل في طياته معنىً تطبيعيًا**». ويُراد بالتطبيع: (إقامة علاقات طبيعية في الجوانب المختلفة)، فهناك تطبيع سياسيّ، وتطبيع اقتصاديّ، وتطبيع دبلوماسيّ، وغير ذلك... وكل هذه الجوانب مرفوضة ولا تحتاج إلى اجتهاد كبير، فهي واضحة جلية. فالتطبيع مع الظالم ظلم؛ لأنه إقرار له على ظلمه، وهذا منصوص عليه في مواضع كثيرة؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: من الآية ١]. وقال أيضًا: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [القصص: ١٧].

- ويقول **الدكتور (سلمان الصالحي)**في كتاب (**استراتيجية الاختراق الصهيوني**): «وبدأت مرحلة جديدة بعد زيارة السادات للقدس، حيث برز اصطلاح جديد وهو التطبيع، وقد استعمله اليهود كثيرًا على الرغم من المغالطة في المفهوم؛ حيث إن التطبيع (هو عودة العلاقات إلى سابق عهدها)، **بينما الأصل في العلاقة مع اليهود هو العداوة كما قال تعالى:** ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢] ولا ينكر الساسة اليهود أن التصور الإسرائيلي للسلام مع العرب يدور حول فكرة أساسية هي (**تطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية**) التي هي مرحلة من مراحل السيطرة اليهودية، ولا يمكن تصور أن زيارة السادات للقدس كانت وليدة خاطرة في ذهن الرئيس، بل إن الاتصالات (الإسرائيلية) كانت مستمرة بلا انقطاع مع أكثر من طرف عربي».

- **وحركات السلام هي جزء لا يتجزأ من هذا الكيان الشرير**، ويخدم أفرادها في الجيش اليهودي؛ الذي حارب في لبنان وفي غزة، ويقوم بأعمال إجرامية في أرض فلسطين يوميًا. وبناء على كل هذه المعطيات في وصف الواقع لحركات السلام بشكل عام، (وحركة السلام الآن) على وجه الخصوص؛ **فإن الحكم الشرعي**

في هذه الحركات هو: (أنها جزء لا يتجزأ من الكيان اليهودي)، وتأخذ حكمه الشرعي في التعامل معه؛ على اعتبار أنه كيان محارب فعلًا للمسلمين، فهي عدوة لأمة الإسلام. وبناء على ذلك، لا يجوز شرعًا التعامل مع مثل هذه الحركات، أو الدخول معها في برامجها السياسية أو أعمالها الدعائية؛ لأن كل أعمالها تصب في مصلحة الحرب على دين الله وعلى أمة الإسلام؛ حتى لو ظهرت بمظهر السلام، فمشاركتها في أعمالها هي إعلانُ حرب على أمة الإسلام، هذا عدا عن أن مشاركة هذه الحركات هي نوع من أنواع الولاء في الأعمال، ويخشى أن يصل إلى درجة الولاء في عقائدهم ومبادئهم فينطبق على من يفعل ذلك قوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة: ٥١]، أي يخشى أن يصل إلى درجة الكفر والعياذ بالله.

وأما ما هو واجب المسلمين تجاهها؛ فيجب أن يكون: **أولًا:** الرفض المطلق لهذه الحركات كحركات تنتمي إلى الكيان اليهودي المغتصب لمقدسات المسلمين وأرضهم. **ثانيًا:** يجب أن لا نشارك بأية فعالية من فعاليتهم؛ لأن المشاركة معهم هي تأييد ودعم لبرامجهم السياسية. **ثالثًا:** أن لا نقبل أية مساعدة مادية أو معنوية عن طريقهم؛ سواء أكان ذلك مساعدات طبية أو تعليمية أو غير ذلك. **رابعًا:** أما بالنسبة لمن يعمل في صفوفهم من أبناء المسلمين؛ فإنه لا يُتعامل معه في هذا المجال، ولا يشجع على ذلك، بل ينكر عليه هذا الفعل باستمرار، ولا يُتودَّد له، ولا يُتَّخَذ صاحبًا. قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وإذا صرح بأن انتماءه لمثل هذه الحركات هو عن إيمان وقناعة بمبادئها ودينها؛ فان ذلك يعتبر ردة عن دين الإسلام، وبالتالي يعامل معاملة المرتد؛ فلا يغسل ولا يكفن ولا يقبر في مقابر المسلمين، وتطلَّق منه زوجته. **خامسًا:** بالإضافة لذلك يجب على الوجهاء وأهل البلاد من المسلمين أن يتصدوا بكل وسيلة شرعية لمثل هذه الحركات؛ من باب تغيير المنكر الذي أوجب الله عز وجل أن يغير... ولا يكتفى بعدم المشاركة والسكوت على نشاطاتهم وجرائمهم في بلاد المسلمين. قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقال عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي بيده، لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ اللهُ أن يبعث عليكم عذابًا من عنده، ثم لتدعُنَّه، ولا يستجاب لكم**» [رواه الإمام الترمذي].

وقبل أن نختم حديثنا في هذا الموضوع نقول: إن ملة الكفر هي ملة واحدة، مهما تعددت أسماؤها ومسمياتها، وإن هؤلاء الكفار يحاولون تضليل المسلمين باستمرار، بالأقوال والأعمال؛ للإيقاع بهم، وجعلهم يسيرون في ركابهم وخدمة مخططاتهم السياسية، وقد شهد رب العزة جل جلاله بهذه الحقيقة في أكثر من موضع في كتابه العزيز: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ

كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١﴾ وقال كذلك: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ وقال: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢﴾ [الممتحنة: ٢]. وقد حذرنا رب العزة جل جلاله أن نثق بهؤلاء الكفرة المجرمين، أو نصدق أقوالهم، أو نركن إلى أفعالهم وتصرفاتهم، أو أن نسير معهم في أقوال وأعمال.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣﴾ [هود: ١١٣]. وقال: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩﴾ [القلم: ٩]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١﴾ [الأحزاب: ١]. واليهود على وجه الخصوص، كما ذكرنا هم أشد الناس عداوة لهذه الأمة الكريمة بشهادة رب العزة جل جلاله: ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢]

ولا يبقى بعد كل هذا البيان والكشف لطبيعة هذه الحركات لمسلم عذرٌ في اتباعها أو تصديقها أو الثقة بما تفعل، إلا أن يكون أحد اثنين: **الأولَ:** تابعًا لهذه الحركات وسياساتها، وبالتالي تابعًا لكيان يهود وعميلًا له. و**الثانيَ:** منتفع يريد أن يحقق بعض المصالح الشخصية النفعية بانتمائه لهذه الحركات. وهذا أشد خطرًا على المسلمين من الأول.

أما الدولة الإسلامية عند قيامها، قريبًا إن شاء الله تعالى، فسوف تحاسب حسابًا عسيرًا كل من يسير خلف هذه الحركات الصهيونية أو يروج لها، وستعتبره جزءًا من هذه الحركات، يأخذ حكمها إذا لم يعلن توبته، ويرتجع عن فعله السيئ المنكر قبل فوات الأوان...

نسأله تعالى أن يكرم أمة الإسلام بـ (**خلافة راشدة على منهاج النبوة**)... وأن يصرف عنها المكر، والكفر، والتضليل، والفتن ما ظهر منها وما بطن... وأن يصرف عنها الوقوع في حبائل الكفار وألاعيبهم السياسية الماكرة...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

الخاتمة...

إن المؤامرات على هذه الأمة لم تتوقف طوال عصور التاريخ المتعاقبة؛ منذ بعثة المصطفى عليه الصلاة والسلام حتى يومنا هذا... ولن تنتهي حتى يرث الله الأرض ومن عليها... وما الحرب المعلنة اليوم، من الصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة، إلا حلقات في سلسلة طويلة من هذه المؤامرات الإجرامية...

لكن الأمر المهم الذي نخلص إليه من خلال استعراضنا لهذه القوى الكافرة، ولحربها على أمة الإسلام؛ هو أن هذه الأمة كلما كانت وحدة واحدة - كما أراد لها ربها عز وجل - فإنها تكون مهابة الجانب، لا يطمع فيها طامع، ولا يعتدي عليها معتدٍ، ولا يقترب من حدودها أو ساحتها أي كافر. وقد شهد التاريخ على صدق هذا الأمر؛ فقد حاول اليهود في بداية الدولة الإسلامية (في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم) أن يهدموا هذا الصرح الجديد، وتآمروا عليه؛ إلا أن قوة الدولة، ووحدة المسلمين ردتهم على أعقابهم خائبين خاسرين. وحاولوا كذلك - في فترة ضعف الدولة الإسلامية في آخر عهدها - أن

يأخذوا جزءًا من أرض فلسطين، وذلك في عهد السلطان عبد الحميد الثاني فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلًا، وعاد وفد هرتسل خائبًا خاسرًا يجر ثوب الفشل والخسران...

ولم يتمكن هؤلاء اليهود، ولا غيرهم من عباد الصليب أن ينفذوا إلى أطماعهم وغاياتهم إلا عندما تفرقت الأمة، وتشرذمت إلى أكثر من خمسين دويلة. فتمكنت الحركة الصهيونية؛،عن طريق النصارى الحاقدين، من النفاذ إلى قلب العالم الإسلامي، وإلى أعزِّ مقدساته؛ إلى أرض الإسراء والمعراج، وأقاموا فيها حلمهم الذي انتظروه طويلًا...

إن خطر اليهود الكبير ليس في احتلالهم واغتصابهم لأرض فلسطين فحسب. فهذا الأمر سيزول، وقريبًا إن شاء الله تعالى، عندما تعود الأمة إلى سابق عزها ومجدها؛ تمامًا كما عادت من قبل أثناء فترة الغزو الصليبي والمغولي لبلادها. فقد استمرت الأمة الإسلامية في جهاد وقتال مع عُبَّاد الصليب أكثر من مئتي عام متواصلة في بلاد الشام، وأكثر من تسعين عامًا في أرض الإسراء والمعراج؛ حتى مكَّنها الله من تحريره على يد القائد المظفر (الناصر لدين الله صلاح الدين الأيوبي) رحمه الله. ثم على يد المماليك من بعده. ولم تفكر الأمة الإسلامية في يوم من الأيام أن تقيم علاقات ودٍّ ووئام مع هذا المغتصب، رغم تآمر بعض رؤساء المماليك معه؛ في مصر والشام؛ مثل الحاكم شاور في مصر؛ حيث إن الأمة الإسلامية وصمته بالخيانة، وحاربته تمامًا كما حاربت عُبَّاد الصليب...

إن الأمر الخطير هذه الأيام هو إقامة علاقات الوئام والسلام مع هذا الكيان المغتصب، وفتح السفارات، والتنازل عن جزء من أرض الإسراء والمعراج له مقابل ذلك؛ لكن الأمة، بحمد الله، قد عادت وتعود إلى رشدها، وإلى الطريق الصحيح في أخذ الدين؛ وهي ترفض هذا المحتل اليهودي؛ تمامًا كما رفضت الاستعمار الغربي في بدايات القرن الماضي، وعملت على تحرير كل بلاد الإسلام؛ في مصر والشام والمغرب العربي والعراق، وعملت كذلك على إزالة كل العملاء الفكريين والسياسيين الذين زرعهم هذا الاستعمار...

إن الأمة اليوم تعمل جاهدة لإعادة وحدتها؛ في دولة واحدة، ولتحرير المغتصب من أرضها، وخاصة أرض الإسراء والمعراج، ولن ينال اليهود ولا عملاؤهم - في هذه الأرض المباركة المقدسة - إلا الخزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب...

وإن ما يقوم به الكيان اليهودي من التضليل من أجل ترسيخ فكرة السلام، والتطبيع والتعايش السلمي ستكون كالهشيم الذي تذروه الرياح، ولا يقدرون مما عملوا وخططوا ودأبوا على شيء، وسوف تذهب كل مشاريعهم أدراج الرياح؛ لتعود هذه الأرض وشعبها الأصيل إلى أصالته وإلى حاضنته في ظل دولة الإسلام قريبًا بإذن الله. قال تعالى : ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧]. صدق الله العظيم ■

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(انتهى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الخدمات والمرافق العامة في دولة الخلافة (٤)

المبحث الرابع: ملكية عامة وخدمات عامة

د. عايد الشعراوي (رحمه الله)

هناك بعض الخدمات التي تتولاها دولة الخلافة، أو تشرف عليها وتنظمها وتراقبها، وتحتفظ لنفسها بحق إلغاء التراخيص، أو الامتياز الذي منحه حكام الجَور للشركات الغربية أو للقطاع الخاص؛ فأساؤوا التصرف، وهدروا المال، وأضروا بالرعية. ومن هذه الخدمات: استخراج وتسويق الثروة النفطية، والثروة المعدنية، والمواصلات والطاقة، والنقل والأبحاث العلمية المتعلقة بشؤون الاقتصاد.

أولًا: استخراج الثروة المعدنية وتوزيعها:

قد توجد المعادن في أرض مملوكة ملكًا خاصًا، أو في أرض مملوكة ملكًا عامًا، أو في أرض مملوكة لبيت المال. فإن كانت أرضًا لبيت المال، فالمعادن لبيت المال، وإن كانت أرضًا مملوكة ملكًا عامًا فهي لعامة الناس، وإن كانت أرضًا خاصة، فقد ذهب المالكية إلى أن المعادن ملك عام، ولا تتبع ملكيتها ملكية الأرض الخاصة؛ لأنها أشبه بالفيء الذي ينال بلا تعب، ولأن المعادن في باطن الأرض أقدم من ملك المالكين للأرض، ولا يملكونها إذا ملكوا الأرض.

ورجَّح الشيخ محمد أبو زهرة ضرورة الأخذ، في عصرنا هذا، برأي المالكية [محمد أبو زهرة: التكافل الاجتماعي، ص٣٨]، وهذا ما ذهب إليه أيضًا السيد محمد باقر الصدر [محمد باقر الصدر: اقتصادنا، ٥٠٧-٥٠٨]، وهو من علماء الاثني عشرية المعاصرين، ولا سيما مع تنامي قدرة الإنسان على الكشف والتنقيب والاستخراج من خلال الآلات الحديثة المتطورة.

إنها من المشتركات العامة بين كل الناس، فلا يعترف الإسلام لأحد بالاختصاص بها، وتملُّكها ملكية خاصة؛ لأنها مندرجة ضمن نطاق الملكية العامة، وخاضعة لهذا المبدأ، وإنما يسمح للأفراد بالحصول على قدر حاجتهم من تلك الثروة المعدنية، دون أن يستأثروا بها، أو يتملكوا مصادرها الطبيعية.

وعلى هذا الأساس يصبح للدولة وحدها، أو للإمام، بوصفه ولي أمر الناس الذين يملكون تلك الثروات الطبيعية ملكية عامة، أن يستثمرها بقدر الإمكانات التي توفرها الشروط المادية للإنتاج والاستخراج، ويضع ثمارها في خدمة الناس [محمد باقر الصدر: اقتصادنا، ص٤٩٦]. ودولة الخلافة أكثر قدرة من الأفراد على استغلال الثروة المعدنية، وتوفير المال والآلات

اللازمة، وإقامة العلاقات مع الدول المستوردة، وعلى الاستكشاف، والاستخراج، والنقل، والتسويق، والتسعير. وتعجز الشركات والأفراد في الأغلب عن هذه المهمات الصعبة. كما أن هدف الاستغلال والربح والجشع يسيطر على منظمات الأعمال. وهذه الثروة هي أمانة في عنق ولي الأمر، ولا يجوز التفريط بها، ولا يجيز له الشرع ذلك، وتحاسبه الأمة على تقصيره.

ثانيًا: الطاقة:

تشمل الطاقة: النفط، والغاز، والكهرباء، والفحم الحجري، والطاقة الذرية، والطاقة الشمسية، وكل ما يكتشفه الإنسان الباحث في هذا العصر عن بدائل أرخص وأوفر. والبحث عن هذه المصادر البديلة يلزمه إجراء بحوث علمية؛ مما يستدعي توفير الأموال اللازمة لتغطية الإنفاق على هذه البحوث التي يحتاج إجراؤها؛ للوصول إلى النتائج المرجوة، إلى علماء متخصصين، وعاملين فنيين، وتقنية عالية، ومراكز أبحاث متطورة. وهذا الإنفاق والحماس للبحث والتطوير لا يتوقع حصوله من قبل الأفراد والشركات؛ وإن حصل فالدافع المادي لديهم يغلب الإحساس بالمسؤولية تجاه الناس.

إن خطورة الطاقة في هذا العصر تكمن في كونها تدير كل الآلات والسيارات والبواخر والغواصات والقطارات والطائرات والمصانع ومحطات توليد الكهرباء، وفقدانها يعني توقف شرايين الحياة؛ لذلك تتسابق وتتنازع الدول في امتلاكها، وقد شُنَّت وستُشَنُّ الحروب لأجل تحقيق هذا الهدف.

وقد حاولت الدول الرأسمالية في الغرب علاج أزمة الطاقة بمحاولات لخفض الاستهلاك من النفط قدر الإمكان، وباكتشاف بدائل، مثل: الطاقة الشمسية، والطاقة النووية، ومحاولة التوسع في تخزين النفط، وزيادة المخزون الاستراتيجي منه، مع تأخير استخراج ما في أراضيها من نفط؛ لكي يبقى على شكل احتياطي مخزّن طبيعيًا في باطن الأرض.

وبالتدقيق في دور الدول المعاصرة، ودور الشركات في مسألة النفط على سبيل المثال، يلاحظ أن الدور الأكبر يكون للشركات في أغلب دول العالم، ويلاحظ أيضًا أن الأنظمة الحاكمة في الدول القائمة في العالم الإسلامي لها النصيب الأكبر من إيرادات النفط والغاز، وتتعامل مع هذه الثروة وكأنها ملك خاص لذوي السلطان من حكام الجَوْر.

ثالثًا: النقل:

توسع قطاع النفط خلال النصف الأخير من القرن العشرين الميلادي بسبب التقدم التقني الهائل الذي حصل في العالم، وتنوعت وسائل النقل البري، والبحري، والجوي؛ حتى أصبح يطلق على العدد الكبير من وسائل النقل مصطلح أسطول بحري، أو أسطول جوي، أو

أسطول بري. وبسبب الإنتاج بالحجم الكبير أصبح من الضروري توفير النقل بالحجم الكبير. ومع ازدياد عدد سكان العالم أصبح النقل التجاري والصناعي بالحجم الكبير أيضًا.

وقبل انتشار ظاهرة الخصخصة، كانت الدول تتولَّى هذه الخدمة، وتمتلك وتدير خدمات النقل الخارجي، والنقل العام الداخلي. ثم نشأت الحاجة إلى وجود وزارات للنقل والمواصلات، وخُصِّصت لها موازنات في العديد من دول العالم. ومع مرور الزمن، بدأت الدول تضع قوانين تنظم شؤون النقل والمواصلات، داخليًا وخارجيًا. وقد وُقِّعت اتفاقيات ثنائية، وجماعية، وضمن تكتلات سياسية، واقتصادية، محلية ودولية. فهناك على الصعيد المحلي مثلًا اتفاقيات عقدت بين الدول العربية في إطار جامعة الدول العربية، والتي تم إعدادها عام ١٩٧٧م.

وهناك اتفاقيات ثنائية بين العديد من الدول العربية، واتفاقيات إقليمية ضمن مجلس التعاون الخليجي، والدول المغاربية. وهناك اتفاقيات عالمية، واتفاقيات في إطار المجموعة الأوروبية؛ وذلك لتسهيل مرور مركبات النقل على الطرق، والتأمين الدولي على المركبات، ورسوم المرور الدولي، وأنظمة المرور على الطرق الدولية التي وُقِّعت عام ١٩٥٠م، والتي وضعت أسس التعاون الدولي والتنسيق لأنظمة وتعليمات أعمال النقل في أوروبا؛ وذلك في إطار معاهدة جنيف للمرور على الطرق، والتي دخلت حيِّز التنفيذ عام ١٩٦٨م [د.عبد القادر فتحي لاشين: المعوقات والمشاكل الإجرائية في المنافذ، ص٣٠٥ وما بعدها]، والتزمت بها معظم دول العالم. وقد استبدلت هذه الاتفاقية عام ١٩٦٨م، باتفاقيتي فيينا للمرور على الطرق، ولعلامات وإشارات المرور على الطرق.

وعلى صعيد النقل الجوي، وقعت بعض دول العالم اتفاقية وارسو عام ١٩٢٩م، والتي ميّزت بين النقل الجوي الداخلي والنقل الجوي الدولي؛ ذلك النوع من النقل الذي وضعت له الاتفاقية ضوابط وقوانين تنظمه، ثم خضعت هذه الاتفاقية للتعديل عام ١٩٥٥م في (لاهاي)، وللتجديد عام ١٩٦١م في اتفاقية (جوادا لاخارا) في المكسيك [د.محمد فريد العريني: القانون الجوي، ص٢٠-٥٨].

وهناك قوانين دولية وضعت لتنظيم النقل البحري، وتحديد مسؤولية الشاحن، والمشحون إليه، والشركة الناقلة، وللتأمين البحري على السفن، والبضاعة المشحونة، وتحديد المستندات التي يجب على السفينة أن تمتلكها خلال رحلاتها، هذا إضافة إلى تسجيل السفينة، وتحديد هويتها، بحسب المكان الذي سجلت فيه. وحددت القوانين أهمية سند الشحن في الإثبات، وحددت مواعيد الشحن، والتفريغ، وتحديد كيفية التصرف في حالة هلاك البضاعة، ومن يتحمل تبعة الهلاك [د. مصطفى كمال طه: القانون البحري، ص ١٨١-٢١٥—٢٢٧].

وفيما يتعلق بالنقل في **عصور الخلافة** الأولى، فإن وسائله كانت بدائية، وتتم بواسطة الخيول، والبغال، والجمال، والفيلة، والبقر، والعربات التي تجرها الخيول في مراحل لاحقة، والقوارب، والسفن. وكانت الخيول أكثرها استخدامًا في السفر في الأماكن غير الصحراوية. وفي الصحراء

كانت تستعمل الإبل [د.أحمد مطلوب: الملامح الاقتصادية في رحلة ابن بطوطة، ص ٦٠-٦١].

أما في الواقع المعاصر، فإن ما يستخدم من وسائل برية، وبحرية، وجوية، كله يتم استخدامه من قبل الدولة، ومن قبل الأفراد. ومن واجب **دولة الخلافة** وضع قوانين محلية تنظم هذه الخدمة. وإن امتنع الأفراد والشركات عن تأمين هذه الخدمة للناس؛ فإن الواجب الشرعي يوجب على دولة الخلافة توفير هذه الخدمة لهم.

رابعًا: الأبحاث العلمية الاقتصادية:

إن علم الاقتصاد هو علم اجتماعي، وهو يعني دراسة العلاقات السلوكية؛ ومن هنا يلزم لتطوير هذا العلم ممارسة التطبيق والتجربة، وليس الاعتماد على وضع النظريات فقط، تلك هي الطريقة التي تطورت بها النظرية الاقتصادية الوضعية.

لقد أصبح علم الاقتصاد موضوعًا متخصصًا إلى حد كبير، ويتطلب الكثير من الأبحاث العلمية الواسعة. ومن جهة أخرى، فإن تطبيق النظام الاقتصادي في الإسلام يتطلب تعمقًا قويًا في الفكر الإسلامي ومنهجيته، واطِّلاعًا على المراجع الأصلية الإسلامية. وباستثناء قلة، فإن الاقتصاديين المعاصرين الضالعين في علم الاقتصاد، وفلسفته، وأدواته، ليست لديهم معرفة سوية بالعلوم الإسلامية. أما أولئك المتمكنين من العلوم الإسلامية فيفتقرون في أغلبهم إلى المعرفة في علم الاقتصاد، ومنهجيته وأدواته في التحليل؛ ومن هنا كانت الفجوة في التفاهم، وتبادل المعلومات بين الفقه الإسلامي، وعلم الاقتصاد.

إن علم الاقتصاد الغربي ليس عديم الجدوى نهائيًا في بحث الاقتصاد الإسلامي، ولديه من أدوات التحليل وأساليبه ما يمكن أن يساعد في فهم العلاقات الاقتصادية والسلوك الاقتصادي لمجتمعات متفاوتة الثقافة والعقيدة. إلا أن النظرية الاقتصادية الغربية قد قصرت في كثير من الأحيان عن تشخيص بعض المشاكل الاقتصادية، مثل الركود التضخمي STAGFATION ومشاكل السوق وغيرها.

إن اعتماد مبدأ الأبحاث العلمية في الاقتصاد بعامة، وفي الاقتصاد الإسلامي بخاصة، لم يتمتع باهتمام كافٍ في العالم الإسلامي؛ لذا ليس هناك مفر من قيام دولة الخلافة بما تملكه من شعور بالمسؤولية تجاه الرعية، وبما تملكه من مال لازم، بالإنفاق على البحوث العلمية في مجال الاقتصاد، وأن تنشئ مراكز للبحث العلمي، وأن ترعى الخبراء وتنفق عليهم وعلى أبحاثهم، وتثير المنافسة والتسابق في حقول العلم والمعرفة؛ وذلك من أجل تطوير العلم، وحسن تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي.

بعض بنود الإنفاق العام

تتولَّى الدول العلمانية المعاصرة الإنفاق على العديد من الخدمات، وتتحمل تكاليفها

بسبب موقعها الرعائي من المجتمع. ومن هذه الأمور: فوائد الدين العام، والإعانات الحكومية، والنفقات المالية التي تتم لصالح الهيئات الرسمية. وفيما يلي تفصيل ذلك:

أولًا: فوائد الدين العام:

تلجأ الدولة للاقتراض بالربا لأسباب عديدة، مالية واقتصادية، وقد يكون ذلك لسد عجز مؤقت ناتج عن عدم تطابق الإيرادات والنفقات على مدار السنة، أو لمجابهة عجز حقيقي يرجع إلى عدم كفاية حصيلة الضرائب لتغطية النفقات العامة. فالقرض أداة لتوزيع الأعباء العامة مثل الضريبة، وقد خفَّت حدة التفرقة بينهما كمصدر لإيرادات الدولة.

كذلك تقوم الدولة العلمانية بالاقتراض لتنفيذ سياستيها الاقتصادية والاجتماعية. فالقرض أداة مهمة لتحقيق أهداف الدولة العلمانية في زيادة الدخل، واستقراره، وحسن توزيعه؛ فهو يستخدم كأداة لدرء الأزمات؛ إذ تستعين به الدولة العلمانية لتغطية نفقاتها المتزايدة في فترات الكساد، وتمتص بواسطته الأموال المكتنزة العاطلة، وتقوم بسداده في فترات الرخاء.

ويستخدم القرض أيضًا كأداة لتحسين توزيع الدخل، والتخفيف من حدة التفاوت بين الفئات، فتطرح الدولة العلمانية اكتتابًا لاستجلاب القروض مقابل نسبة من الربا، فتكتتب فيه الفئة الغنية، وتنفق الدولة العلمانية حصيلة الاكتتاب على مصالح الفئات الفقيرة؛ فترفع بذلك مستوى معيشة هذه الفئات من ناحية، وتقلل من القوة الاقتصادية لفئة المكتتبين من ناحية أخرى، خاصة إذا سددت القروض بنقودٍ قوتها الشرائية متدهورة [د. عبد المنعم فوزي وزميلاه: المالية العامة].

ويحقق القرض العام أيضًا أهدافًا تتعلق بالسياسة النقدية. فبواسطة الاقتراض من البنوك تزيد الدولة العلمانية من القوة الشرائية المتداولة؛ مما يؤدي إلى زيادة الإنتاج في حالة توجيه قروض الدولة العلمانية إلى نواحٍ استثمارية. كذلك يستخدم القرض كوسيلة لامتصاص الفائض من القوة الشرائية المتداولة، ومحاربة التضخم، وتحقيق التوازن الاقتصادي.

وتتوقف الآثار الاقتصادية للقروض على عوامل عديدة منها:

١- مصدر القرض: القرض قد يكون داخليًا أو خارجيًا. وفي الحالة الأولى قد يكون مصدره المدخرات الموجودة لدى أفراد الناس أو قد يتم الالتجاء إلى المصارف المحلية للاقتراض منها. [د. عبد المنعم فوزي وزميلاه: المالية العامة].

٢- طريقة استخدام القرض: إن القرض إما أن يوجه إلى نفقات استهلاكية لتمويل الحروب، وإما إلى نفقات استثمارية.

٣- آثار القرض: تتوقف آثار القرض على مصدر وطبيعة الأموال اللازمة لاستهلاكه. [د. عبد المنعم فوزي: المالية العامة، ص ٣٧٤].

هذا في الدول العلمانية، أو الدول الرأسمالية. أما دولة الخلافة فلا تقترض بفائدة ربوية، لا من الداخل، ولا من الخارج؛ بسبب

تحريم الإسلام للربا، والفوائد الربوية؛ لذلك لا يعد هذا البند من البنود التي تتحمل كلفتها، أو تقلق بشأن تأمين سداد الفوائد المتراكمة عليها.

ثانيًا: الإعانات الحكومية:

تقوم بعض الدول بتقديم إعانات للهيئات المحلية؛ لكي تحدَّ من المغالاة في فرض الضرائب المحلية؛ لأن فرضها يؤدي إلى إنقاص حجم الرفاهية الاقتصادية التي يتمتع بها الناس. وتفيد هذه الإعانات أيضًا في حثٍّ وتشجيع الهيئات المحلية على القيام بأداء خدمات معينة، غالبًا ما تشوبها صبغة إقليمية لا محلية بحتة، كما تهدف إلى تحقيق نوع من المساواة في المقدرة المالية للهيئات المحلية على المضيِّ في نشاط عام معين. وكثيرًا ما تتفاوت هذه الإعانات الحكومية في مقدارها، تبعًا لأوجه الدورة الاقتصادية المختلفة، فتزيد في أوقات الكساد، أو الهبوط في مستوى النشاط الاقتصادي العام، وتقل في فترات الرواج أو الرخاء، ولا تؤديها الدولة بالضرورة من حصيلة إيرادات ضرائبها العامة. ويعاب على الإعانات الحكومية أنها قد توهن من الوعي المالي المحلي، كما أنها قد تشجع على الإسراف من جانب الهيئات المحلية؛ إلا أن شيئًا من هذا لا يخشى حدوثه لو اشترطت الدولة مثلًا ضرورة قيام هذه الهيئات بالمساهمة المالية في بعض تكاليف المشروعات المحلية المعانة، بالإضافة إلى ما للدولة من وسائل للرقابة على كيفية إنفاق الهيئات المحلية لهذه الأموال [د. عبد المنعم فوزي ود. عبد الكريم بركات: مالية الدولة والهيئات المحلية، ص٦٣٨].

أما في دولة الخلافة، فإن الإعانات لا يفرضها وجود الضرائب، أو غيابها، بل يفرضها الواجب الشرعي، وإذا كان في بيت المال ما يكفي لتأمين هذه الخدمات، فإن الدولة تقوم بالإنفاق من بيت المال عليها. وإذا لم يتوفر المال في بيت المال، تقوم الدولة بفرض قدر من المال على الأغنياء فقط، ولتغطية الحاجة الآنية، وينتهي فرض المال على الأغنياء بانتهاء الحاجة الملحة، فالحاجة للخدمة هي التي تملي على الدولة واجبها، وليس أي أمر آخر.

ثالثًا: النفقات المالية التي تتم لصالح الهيئات الرسمية:

إن المقصود بالهيئات الرسمية هي: الوزارات، وإدارات الدولة الرسمية، والبلديات، وباقي مؤسسات الدولة، التي تؤدي خدمات عامة النفع للمجتمع. وقد أدخل خبراء الأمم المتحدة تكاليف هذه الخدمات ضمن التكاليف التي تتحملها الدولة. وهذا النوع من الإنفاق لا يمكن أن يقوم به الأفراد، أو الشركات، أو الجمعيات الخيرية؛ لذلك تبقى هذه الخدمات معطلة إذا لم تبادر الدولة إلى تحمل أعبائها؛ لأن الإنفاق عليها لا ينتج عنه مردود مالي (ربح)، فهي لا تغري المؤسسات الخاصة للقيام بها؛ لذلك ترصد لها الدولة المعاصرة مالًا ضمن الموازنة العامة. ولا تختلف دولة الخلافة في هذا المجال عن الدول المعاصرة؛ حيث تغطي النفقات من بيت المال، أو تفرض على الأغنياء ما يسمى «التوظيف» إذا لم يكن في بيت المال ما يكفي للإنفاق على هذه الخدمات □

بسم الله الرحمن الرحيم

مدلول الشهادتين (٤):

دور العلماء والجماعات الإسلامية في تحقيق شمول العبادة

إذا رجعنا إلى النصوص الشرعية؛ فإننا سنجد أنها جعلت للعلماء منزلة كبرى، ورتبت عليهم كذلك مسؤولية كبرى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَكُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ. إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلا دِرْهَمًا، وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

من هنا كان للعلماء منزلتهم عند المسلمين؛ وذلك لمنزلة الدين في نفوسهم، فالناس يحبون العلماء، وعنهم يأخذون الدين ويفهمونه، وهم يعيشون بين الناس، ويغشَون المساجد، ويؤمونهم في الصلاة، ويخطبونهم في الجمعات، ويلقون عليهم الدروس، ويفتونهم في مختلف مسائلهم من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وزواج وطلاق... وغيرها من المسائل التي يلتزم بها المسلمون؛ فكانوا بهذا قادة رأي ومراجع لهم في الدين.

بيد أن الإسلام، في مقابل هذه المنزلة، رتَّب على العلماء مسؤولية كبرى، وأخذ عليهم ميثاق قول الحق ونشره والعمل به وعدم كتمانه، والوقوف في أول الصفوف في إحقاق الحق وإبطال الباطل. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة]

ثم إنه من المعلوم من الدين بالضرورة، أن هؤلاء العلماء عندما يجتهدون أو يفتون المسلمين في مختلف قضاياهم أو مشاكلهم فإنما يعطونهم حكم الله فيها وليست أحكامهم ولا آراءهم الشخصية. فهم مثلًا عندما يقولون لهم إنه يجوز الصلح مع يهود فهذا يعني عندهم وعند المسلمين أن هذ هو حكم الله في الصلح، وعندما يجيزون لهم التعامل بالربا فإنه يعني عندهم أن هذا هو حكم الله فيه، وعندما تجيز أي جماعة إسلامية المشاركة في الحكم في الأنظمة الطاغوتية فهذا يعني أن الله حكم بهذا... وهكذا. فالعلماء ومسؤولو الجماعات الإسلامية وكل المسلمين يجب أن يعلموا ذلك، وأن لا يغيب عن أذهانهم؛ على اعتبار أن الحاكم عند الجميع هو الله وحده، وأن الله سبحانه لا يشرك في حكمه أحدًا.

كذلك، فإن العالِم مطالب، كأي فرد من أفراد الأمة، مثله مثل غيره، بالإيمان والالتزام، فحكم الله في حق أي مسلم يشمله، فهو مثلهم مطالب بالطاعة في الصلاة والصيام والحج والزكاة وسائر أحكام الإسلام كسائر المسلمين.

ولكن غالبية علماء اليوم قد اختلفوا عن علماء الأمس، ولم يعودوا كما كانوا في السابق، إلا من رحم الله. فقد أصيب علماء اليوم بالنقص في فهم الدين، وغابت عنهم شموليته، وعلَّموا الناس وعوَّدوهم أن لا يسألوهم إلا عن المسائل الفردية التي تخصهم؛ فأصبحنا نرى المسلم الصالح هو من التزم بالصلاة والصيام والحج والزكاة وبر الوالدين... أما قضايا الأمة المصيرية ومسائل الشرع الكبرى فإنهم يكتفون بالدعاء لها، وبجمع المساعدات المالية وأحيانًا العينية لمستحقيها من إخوتهم المسلمين، فهم عندما يسمعون بمجازر الروهينغا، أو احتلال فلسطين أو قتل المسلمين فيها، أو في العراق، أو في سوريا أو في اليمن... أو عندما تحتل دول الكفر بلادهم وترتكب المجازر... فإنهم يكتفون بدفع المسلمين لجمع التبرعات، ويطلبون منهم أن يدعوا الله أن يكشف عن إخوتهم ما هم فيه... ونرى خطبهم ودروسهم (إن وجدت) تخلو من أي حكم شرعي فيه معالجة لمثل هذه القضايا الكبيرة. والسؤال الذي يُطرح هنا: هل يكفي الدعاء لرد الأعداء، وهل هذا هو التصرف الشرعي المطلوب فحسب؟. ألا توجد أحكام شرعية أخرى مطلوب من المسلمين ومن علمائهم ومن جماعاتهم القيام بها سوى ذلك؟ ألا يكشف ذلك التقصير عن وجود نقص في فهم الدين؟ نعم، إنه يكشف!.

أما هذا الفهم المنقوص للدين، فهو لا شك آتٍ من مناهج التعليم التي فرضها الغرب على المسلمين، والتي أراد من ورائها أن يجعلنا نفهم ديننا على طريقته، أي نأخذ من الدين فقط ما يسمح في مبدئه القائم على (فصل الدين عن الحياة) أن نأخذه، أي نأخذ ما يتعلق بفرديتنا، بأحوالنا الشخصية، دون الأخذ منه ما يتعلق بمسائل الحياة العامة المتعلقة بحياة المسلمين عامة، كشؤون السياسة والاقتصاد والحكم...

والغرب الذي يسيطر بفكره وبطريقة حياته على بلاد المسلمين، فرض هذا الفهم المنقوص للدين عن طريق إيجاد معاهد شرعية تقوم مناهجها التعليمية بناءً على هذه النظرة، وأوجد وزارات للشؤون الدينية ودوائر للأوقاف، وجعلها تشرف على حسن التزام المعاهد الشرعية بمناهجه التعليمية التي وضعها، وأعطى المتخرجين ألقاب العالِمية، وقرَّب من كان أكثر ولاء لفكره وخضوعًا لسياسته التعليمية؛ فعيَّنهم في مناصب الإفتاء، وأعطى بعضهم ألقابًا منتفشة كمجتهد العصر، أو عيَّنهم أعضاء في هيئة كبار العلماء، أو عينهم في مراكز الإفتاء... وفي هذا كله جعل الغرب للحكام عملية الإشراف على هذه الدوائر والوزارات، وربط توظيف هؤلاء العلماء الذين يتخرجون من هذه المعاهد ومعاشاتهم بدوائر الأوقاف...

وحرص على أن يتقيدوا بما علموه ولا يتعدونه... وللأسف صار العلماء يعتمدون في معيشتهم على هذه الوظيفة، واعتبروها مصدر التكسب والرزق، وهذا ما جعلهم مأسورين منقادين أكثر، لا يخرجون عما تعلَّموه، إلا من رحم الله، وقليل ما هم... بل ذهب بعضهم مذهبًا بعيدًا في تأكيد هذا النهج حين جعل من نفسه تابعًا لجهة سياسية علمانية معينة، على اعتبار أنه لا يناقض طريقته في فهم الدين. وصار بعضهم لا يجد غضاضة في الاشتراك في الانتخابات النيابية، بحسب قوانين البلد الوضعية وليس بحسب الأحكام الشرعية، واختيار من لا يتبنى الإسلام في شيء ووصل الأمر ببعضهم أن تراهم تابعين حتى لجهات سياسية غير إسلامية...

إن العلماء إذا ابتعدوا عن فهم الدين بشكله الصحيح، فإنهم ينقلون إلى المسلمين فهمهم الخاطئ، وبالتالي سيفهم المسلمون دينهم تمامًا كما يفهمه هؤلاء العلماء وينقلونه إليهم. وسيأخذون دينهم على نفس طريقتهم. وهنا يمكن القول أن ما عند الناس من فهم منقوص للدين، ومن فهم للإسلام على الطريقة الغربية مرده إلى ما عند العلماء، إلا من رحم الله، وللأسف، انعكس هذا على المسلمين بالتبع.

ولكننا بتنا نرى اليوم أن هذا الأمر بدأ يتغير لدى المسلمين، فأصبحوا لا يرون في علمائهم ما كانوا يرونه بالأمس، وهذا مرده إلى أنهم انكشفوا أمامهم نتيجة تقصيرهم وعدم وقوفهم مواقف الحق تجاه مختلف القضايا العامة الراهنة التي تواجه المسلمين، بل يمكن القول إن الأمة في مثل هذه الأوضاع الضاغطة، تفتقد إلى من يهديها السبيل، وهي تفتش عنهم، وهنا يجب أن يتقدم العلماء المخلصون الواعون ليقودوا الأمة القيادة التي تخلصها وتخرجها مما هي فيه من عنت، وتكون زاوية الدعوة المركزية عندها هي شمول الدعوة، وأن تقوم الدعوة عندهم على التقيد الصحيح بالإسلام؛ وذلك بأن يجري فهمه على طريقة الإسلام الصحيحة الثابتة والتي لا طريقة غيرها في فهم الإسلام، وأن ينزعوا عنهم أي تأثر بالغرب في الفهم المنقوص للدين.

نعم، إنه نتيجة لانكشاف فهم العلماء المنقوص للدين صار المسلمون لا يرون فيهم بغيتهم، ونزل قدرهم، حتى وأصبحوا متهمين عندهم، وهي تفتش عن علماء غيرهم مخلصين وواعين، وهنا يأتي فعلًا وقت بروز علماء يأخذون دور (الرائد الذي لا يكذب أهله)، ويقومون بوراثة النبوة بحق، ودور العلماء الذين يقودون، لا كما حصل في الثورات حيث كانوا يقادون. ولكن هذا الكلام الذي نقوله بكل وضوح، ليس من السهل تنفيذه؛ لأن الغرب ومعه حكام المسلمين العملاء له والخائنون لدينهم وللمسلمين، سيمارسون على العلماء ضغوطهم القوية ليزدادوا بعدًا عن فهم الدين الصحيح الذي ندعو إليه، وليزدادوا ارتماء في أحضانهم، وللأسف، نرى مزيدًا من التخاذل

من بعضهم. وهنا يظهر الامتحان والابتلاء والتمحيص، ولكننا نقول في هذا المجال بكل اطمئنان إن الأمة مليئة بالأكارم الفضلاء من أهل العلم، وما عليهم إلا أن يتقدموا الصفوف فالأمة تنتظرهم، وإن من لا يستحقون الهداية من هؤلاء؛ فإنهم سيزدادون ارتكاسًا.

أما الحركات الإسلامية، فإن العلماء إذا كانوا يؤثرون على المسلمين كأفراد، فإن الحركات والجماعات الإسلامية تؤثر على المسلمين بمجموعهم، وعملها متعلق بالدرجة الأولى بالعمل الجماعي، وتهتم بقضايا المسلمين العامة، وهذه الحركات كان من الطبيعي أن تضع برامج لنفسها وتدعو المسلمين إليها، وأن تعتبر نفسها هي المعبِّر الحقيقي عن تشكيل الرأي العام لدى المسلمين، وتتكلم بقضاياهم،

إلا أن الجماعات الإسلامية التي قامت لم تختلف دعوتها عن دعوة العلماء في علمهم المنقوص، وطريقة أخذهم للدين، فبرامج عملها كجماعات قامت على (فصل الدين عن الحياة) وبالتالي عن الدولة... وإن كان بشكل مُقنَّع.

فقد قامت حركات وجماعات سياسية تعمل في مختلف بلاد المسلمين، من غير أن يكون لديها أي عمل لتغيير الأنظمة الحاكمة فيها مع أنها تحكم بأنظمة علمانية كافرة، حلَّت بديلًا عن أنظمة الإسلام. بل أكثر من ذلك، فقد تدنَّت هذه الجماعات في طرحها إلى درجة أنها، بدل العمل على تغييرها، أجازت لنفسها المطالبة بمشاركة الأنظمة التي قامت فيها في الحكم بالكفر، ثم لو جئت إلى برامج عملها فإنك تجد المسوغات التي يدَّعون أنها شرعية، والتي تسوِّغ للمسلمين أن يأخذوا بأحكام الكفر إذا وجدوا أنها تحقق مصلحتهم؛ بدعوى (الحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها كان أحق الناس بها) و(حيثما تكن المصلحة، فثمَّ شرع الله) و(لا ينكر تغير الأحكام بتغير المكان أو الزمان)... كذلك كان من أقوال بعض هذه الجماعات أن ٩٠٪ من الأحكام الشرعية هي عفو، مسكوت عنها في الشرع، ويمكن أخذها من خارجه. ونحن لو تمعنا بهذا لوجدنا أن ما يقوله هؤلاء إن هو إلا شكل من أشكال فصل الدين عن الحياة وعن الدولة. فالإسلام لا يتناول عندهم على سبيل الإلزام إلا ١٠٪ من أحكام الحياة، وبالتدقيق نرى أن هذه الـ ١٠٪ تتناول أحكام الأحوال الشخصية التي يسمح الغرب لشعوبه بتركها خارج أنظمة الحياة العامة. ولو أخذنا، مثلًا، السلفيين في السعودية؛ فإننا نجد تواطؤًا بين مشايخها وحكامها على أن السياسة للحكام، والدين والفتوى بأحكام الدين للعلماء، وقد أعطوا الزعامة في ذلك لآل الشيخ. وهذه الدعوى واضح فيها، ومن غير تلبيس، أن السياسة غير الدين، وهما مجالان مختلفان غير متداخلين، ولكل منهما أهله. والعلماء، في تلك القسمة

الضيزى، ينظرون إلى حكام السعودية على أنهم أولياء أمور المسلمين، تجب طاعتهم ولا يجوز الخروج عليهم... وهكذا نرى تأثرًا خفيًا وانزلاقًا لدى هؤلاء العلماء لأخذ الدين على طريقة (فصل الدين عن الحياة) وبالتالي عن الدولة... وكذلك وجدنا من هذه الجماعات من يدعو إلى فضائل الأعمال والأخلاق دون أن يتطرق أدنى تطرق إلى سائر أحكام الإسلام التي تنظم سائر أعمال المسلم الفردية والجماعية وتلك المتعلقة بالدولة الإسلامية. وهنا تجدر الإشارة إلى أن مثل هذه الجماعات لم تأخذ ذلك اعتقادًا، وإلا كان كفرًا والعياذ بالله، بل أخذته ممارسة وبقيت في قرارة نفسها تؤمن أن الدين يشمل كل أمور الحياة، فكان تأويلها هو الخاطئ وليست قناعاتها. فمن قال منهم أن ٩٠٪ من الدين عفو، فهو ينطلق من منطلق أن الدين هو الذي سمح بذلك. ومن قال إن الحكم هو لأولياء الأمور من حكام السعودية فإنما اعتبر أن هؤلاء الحكام يحكمون بالإسلام، بينما هم لا يحكمون منه بشيء. ومن قام على الدعوة إلى الاقتصار على فضائل الأعمال فإنما كان يبرر أن هذه الدعوة إذا نجحت فإنها ستؤدي إلى تطبيق الدين كاملًا، وأنها ستؤدي إلى إقامة الإسلام... من هنا قلنا أن هناك تأثرًا خفيًا... ومع هذا يبقى وجود مثل هذه الدعوات خطرًا للغاية على الأمة، وعلى نهضتها. وعلى هذه الأمة أن تعلم أنه لا يصلح أمرها إلا بما صلح به من قبل.

وهكذا وجدنا أن الغرب تمكن من إقصاء الإسلام عن الحكم، واستطاع أن يبعده عن أذهان المسلمين، وعلى سبيل المثال، عندما احتل يهود فلسطين، قامت حركات وجماعات مسلحة وأخرى سياسية لمواجهة حالة الانهزام التي أصيبت بها الأمة؛ ؛ ولم يكن في برامج واحدة منها تحرير فلسطين، وفي الوقت نفسه إقامة حكم الله فيها، بل لم تتعمق هذه الحركات بالتفكير، وتصل إلى نتيجة مؤداها أنه لن يحرر فلسطين إلا الإسلام، نظرًا إلى عمالة الحكام واشتراكهم بطريقة من الطرق في جريمة الاحتلال، وقيامهم بمهمة تصفية أو استيعاب أي عمل إسلامي مخلص واعٍ. وبهذا نرى كيف أن أمثال هؤلاء العلماء، إلا من رحم الله، والحركات الإسلامية إلا من رحم الله، كانت أكبر معوان للغرب في مسعاه هذا.

إن الدعوة الحقة يجب أن تقوم أول ما تقوم على الدعوة إلى العبودية لله وحده، وعلى أن هذه العبودية هي شاملة لكل أعمال المسلم في هذه الحياة، ويجب أن تقوم على الدعوة إلى إقامة الدولة الإسلامية من أجل تحقيق هذه العبودية، سواء داخل الدولة بتطبيق الإسلام كله، أم خارجه وذلك بالدعوة والجهاد؛ لأنه لا تحقق للعبودية الشاملة إلا من خلال دولة إسلامية

ومن أجل الوصول إلى إقامة الدولة الإسلامية، لا بد من اتباع طريقة الرسول في

إقامة الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، كونها هي التي تحقق العبودية بالشكل المطلوب شرعًا. ولما كانت طريقة الرسول ﷺ تقوم على دعوة المسلمين لإيجاد كتلة تؤسس نفسها على إقامة الدين بإقامة دولة الخلافة التي تحكم بما أنزل الله، فيجب على هذه الكتلة أن تؤسس دعوتها على أن الدولة الإسلامية التي تسعى إليها إنما هي من أجل تحقيق هذه العبودية... ولما كانت طريقة الرسول ﷺ تقوم على إيجاد الرأي العام المنبثق عن الوعي العام والمطالب بالدولة الإسلامية فإنما يجب أن تتم الدعوة إلى ذلك من زاوية تحقيق العبودية لله وحده في كل شؤون الحياة. وأن تهتم الدعوة كثيرًا بطبقة العلماء حتى تنجح في تحقيق كل ذلك. فهؤلاء العلماء كانوا من حيث لا يدرون حجر عثرة في طريق إقامة الدولة الإسلامية؛ بينما هم من يجب أن يكونوا أكبر عامل لإقامتها. وحيث إنهم عندما يسألون عن وجوب إقامتها فإن جوابهم يكون سلبيًا؛ بينما عليهم أن يكونوا في مقدمة الصفوف في الدعوة لإقامتها... وهم لو أخذوا دورهم الشرعي الصحيح لقادوها من ضمن الجماعات التي تعمل على إقامة حكم الله في الأرض وتحكيم شريعته؛ وعليه، لا بد من أن تطلق الدعوة إلى إقامة الدولة الإسلامية من زاوية تحقيق العبودية الشاملة لله وحده، ويجب أن تطلق الدعوة بين العلماء لتنبيههم على خطورة اقتصارهم في الدعوة إلى العبودية الناقصة؛ وذلك بالدعوة إلى بعض الإسلام، وليس كله. وكذلك يجب تنبيه الجماعات الإسلامية على خطورة اقتصار دعوتهم على بعض الإسلام، وعلى قبولهم المشاركة في أنظمة الحكم الطاغوتية، أو قبولهم التعامل مع هذه الأنظمة واعتبار حكامها أولياء أمور... إن مثل هذه الأفهام تميِّع الدين، وتعرقل الدعوة إلى الحكم بما أنزل الله، كما هو حاصل اليوم. بل إن دعوة الجماعات الإسلامية يجب أن تنطلق من شمول العبادة، ومن أن هذا الشمول لا يتحقق إلا بإقامة دولة إسلامية.

إن إطلاق هذه الدعوة في العلماء والجماعات الإسلامية يجب أن تكون برفق، لأن الأصل في هؤلاء العلماء أنهم من أهل الإسلام، ومن الغيورين على دينهم، ويتوقع أن يستجيب الكثير الكثير منهم؛ فهؤلاء هم قادة رأي، ولا بد من أن يكونوا مع الدعوة الحقة، وهؤلاء يمكن أن يكونوا من صلب الكتلة، ومن المؤثرين في إيجاد الرأي العام المطلوب.

أما إطلاق الدعوة في الجماعات الإسلامية التي يؤثر عملها على جموع المسلمين، فهذا يجب أن يوجه إلى القائمين على هذه الجماعات، وإلى أعضائها؛ لأنه في حال لم يستجب المسؤولين، فلا بد أن يكون هناك من يستجيب من الأعضاء.

وعلى الله قصد السبيل □

بسم الله الرحمن الرحيم

الأئمة الأربع:

منارات هدى على مرّ الزمن (١)

إن علماء المسلمين الذين بلغوا مبلغ الإمامة في علمهم وفقههم وورعهم وسلوكهم من الكثرة بحيث يصعب إحصاؤهم، ومن الوفرة بحيث يمتنع استقصاؤهم، وسوف تقع العين على كثيرين منهم عند الحديث عن كل أمام وشيوخه وصحابه وتلامذته، فبين هؤلاء جميعًا، من شيوخ وصحاب وتلاميذ، أعلامٌ تنضح هالات الإمامة من عقولهم وقلوبهم، وتتفجر ينابيع العلم من أفئدتهم وأفواههم.

إنما وقع الاختيار على الأئمة الأربع المعروفين لأنهم القدوة لجمهرة المسلمين. وفي حياة كل منهم من الأحداث والسلوك والاجتهاد والتضحية ما يجعل منه قدوة للعلماء والجمهرة، والخاصة والعامة على وجه سواء، وإننا سوف نجد عجبًا في حياة هؤلاء الأئمة البررة منذ نعومة أظفارهم إلى أن بلغوا مبلغ الإمامة، وسوف نجد ثلاثة منهم مدينين لأمهاتهم بالتوجه إلى العلم دون غيره من صنائع الحياة، بل سنجد أنفسنا كمسلمين مدينين لهؤلاء الأمهات الفضليات اللائي أهدين إلى البشرية نجوم هدى ورسل سلام. ويتمثل ذلك أكثر ما يتمثل في والدة مالك ووالدة الشافعي. فأما أم مالك، فقد عمَّمته وهو صغير، وألبسته ملابس العلماء، وقالت له: إذهب إلى ربيعة، وتعلَّم منه أدبه قبل علمه. وكان الصغير مالك يريد أن يشتغل بالغناء، فصرفته أمه عن ذلك صرفًا جميلًا. وأما أم الشافعي فقد ظلت به في غزة حيث ولد قبل وفاة أبيه بزمن قصير، فلما أن بلغ عمره حولين، وأصبح قادرًا على تحمل الرحلة إلى ديار أهله في الحجاز، حملته إلى مكة وتولت رعايته، فقد كانت فرصة تعلُّمه الفقه لا تتهيَّأ له في مكان بقدر ما تهيَّأت له في الحجاز.

وتبدو صورة الكفاح والرحلة في طلب العلم أكثر ما تبدو في حياة هؤلاء الأئمة البررة باستثناء الإمام مالك الذي آثر ألا يغادر دار الهجرة إلاحاجًّا إلى بيت الله الحرام. فأما أبو حنيفة فقد طوَّف بمدن العراق، ثم قضى في مكة بضع سنين يطلب العلم ويستجير بالبيت. وأما الشافعي فقد طوَّف باليمن والعراق والشام ومصر، وكانت تطول إقامته حيث ينزل جامعًا علمًا، أو باعثًا فضلًا، أو ناشرًا فقهًا، وما من بلد حلَّ فيه إلا وله فيه آثار وتلامذة ومريدون، وبخاصة في مكة وبغداد، وأخيرًا في مصر. وأما الإمام أحمد فقد طوَّف بقاع دنيا المسلمين طلبًا للعلم، وسماعًا لحديث رسول الله ﷺ فزار مدن العراق جميعًا، واتجه إلى مكة فحجَّ وسمع ودرس، وارتحل إلى اليمن ماشيًا ليسمع الحديث عن عبد الرزَّاق بن همام، وسافر إلى الشام والثغور، وسعى إلى كثير من بلاد فارس، وهكذا يعلِّمنا الأئمة أن العلم يسعى إليه، ويرتحل في سبيله، وأنه جدير بأن يبذل فيه

الجهد والمال، وتلك سُنة حميدة سنَّها لنا الأئمة الكرام.

وكان كل إمام من الأئمة الأربع صاحب مدرسة غنية بالطلاب، حافلة بالدارسين، وكانت هذه المدارس أقرب ما تكون إلى المجامع العلمية، أو الأكاديميات بلغة عصرنا، كانت تدور فيها المناقشات، وتتنوع أسباب الحوار في الموضوع الواحد بين التلاميذ بعضهم مع بعض في حضرة شيخهم أبي حنيفة يناقشونه ويناقشهم، ويتقبل منهم ما كان صوابًا، ويرشدهم إلى ما لم يكن كذلك. وكانت المناقشات وضروب الحوار تمتد أحيانًا إلى ما يقرب من الفجر، وكان الأمر يجري على هذا النحو أو قريبًا منه في حلقة الإمام الشافعي في مكة، ثم في بغداد، ثم في جامعة الفسطاط التي كان جامع عمرو بن العاص مقرًا لها. كانت الحلقة تبدأ بعد صلاة الفجر وتستمر إلى الضحى في موضوعات مختلفة من علوم قرآن وفقه وحديث ولغة وأدب، وكان الأئمة جميعًا قد سلَّحوا أنفسهم في بدايات مسيراتهم العلمية بالقرآن والحديث واللغة والفقه والقراءات، وربما ذهب بعضهم إلى الكلام لمجرد العلم، وإن لم يأخذ به بعد ذلك.

ومن الأمور التي ينبغي أن يعرفها كل مسلم بل كل متعلم أن مبدأ المنح الدراسية المالية قد قام أول ما قام على يد الإمام أبي حنيفة، فقد فرَّغ تلامذته للعلم دون سواه، ومنعهم من أن يمارسوا أعمالًا أخرى في الصناعات والحرف، وقد كان الناس جميعًا من عالِمين وغير عالِمين يعيشون بما تدرُّه عليهم صناعات أو ألوان من التجارة، فجاء أبو حنيفة وأجرى رواتب شهرية لتلامذته، وفي مقدمتهم أبو يوسف الذي نشأ في بيت فقير، وأراد أبواه أن يصرفاه عما هو فيه من طلب العلم، فقام الإمام بسد حاجته وحاجتهما من المال.

وكان للحوار آدابه، وللنقاشات تقاليدها فيما بين الأئمة بعضهم مع بعض إذا كانوا متعاصرين، وفيما بينهم وبين الناس، وفيما بينهم وبين تلامذتهم، وفيما بين تلامذتهم بعضهم مع بعض، كان الأئمة يضعون تلك الأسس ويقومون على تنفيذها. كان الشافعي إذا رأى تلامذته دخلوا في نقاش لا يرضى عنه حجب نفسه عنهم ولا ينزل إليهم؛ فيكون ذلك بمثابة التوجيه المهذب والتأديب غير الجارح؟، وهم مع ذلك كبار غير صغار. وكان يعلمهم أدب الحوار فيقول: ما ناظرت أحدًا قط على الغلبة. ويقول: ما ناظرت أحدًا قط وأحببت أن يخطئ. ويقول: ما كلمتُ أحدًا إلا أحببت أن يوفَّق ويسدَّد. ولقد سبق أبو حنيفة الإمام الشافعي بحكم السن والعصر، فمهَّد أدب الحوار لتلامذته وأصحابه، وكان يقول لتلاميذه، وأبو حنيفة من أبرع المناظرين: كنا نناظر وكأن على رؤوسنا الطير؛ مخافة أن يزلَّ صاحبنا. وكان يعلمهم منهج البحث العلمي السليم فيقول: لا يحلُّ لمن يُفتي من كتبي أن يُفتي حتى يعلم من أين قلت. وكان يقول لتلاميذه: أنتم مسار قلبي وجلاء حزني، وقد أسرجتُ لكم الفقه وألجمته؛ فنشدتكم بقدر ما وهب لكم من جلالة العلم لَما صنتموه عن ذل الاستثمار. إن حلقات أبي حنيفة والشافعي كانت بمثابة المجامع العلمية، ولكنها كانت تزيد على المجامع المعاصرة بآداب

أصيلة ملتزمة وتقاليد ثابتة ممتدحة؛ ولذلك فقد خرَّجت علماء وأثمرت فقهاء وتمخضت عن رجال صاروا أئمة فيما بعد. ومن المستطاع مراجعة أسماء هؤلاء من تلاميذ كل إمام من الأئمة الأربع وصحابهم.

هذا ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الحديث القصير عن حلقات الأئمة دون الإشارة إلى حلقات مالك وأحمد. لقد كانت حلقة كل منهما من الغنى بالرجال بمكان؛ حتى إن حُجابًا كانوا ينظمون الدخول على مالك في موسم الحج، وكانت حلقة أحمد في مسجد بغداد تضم الآلاف من التلاميذ، ولكنهما أي حلقتي مالك وأحمد كانتا تختلفان من حيث التقاليد عن حلقتي أبي حنيفة والشافعي، فقد كان السماع وحده دون المناقشة هو طابع الحلقتين إلا في حالات قليلة. وكان لكل من مالك وأحمد هيبة في قلوب تلاميذهما تمنعهم من مناقشتهما، وهو ضرب آخر من الحلقات أنتج من العلماء والأئمة من لا يقلون قدرًا عمن تخرجوا في حلقتي أبي حنيفة والشافعي. لم يكن الأئمة الأربع إذًا أئمة لعلمهم وحسب؛ ولكن لأنهم كانوا مدارس ومحافل تمحيص فقهي؟، وكل حلقة خرَّجت عددًا من الفقهاء العِظام، وغير واحد من الأئمة. ففي حلقة أبي حنيفة تخرَّج أبو يوسف ومحمد بن الحسن. وفي حلقة مالك تخرَّج الشافعي وابن وهب وابن القاسم. وفي حلقة الشافعي تحرَّج الإمام أحمد في العراق، والبويطي والمزني والربيعان في مصر.

لقد كان الأئمة يمثلون القدوة الصالحة في العلم، ولكن العلم وحده غير كافٍ في مجال القدوة. لقد كانوا قدوة في كل شيء متصل الأسباب بالدين والحكم والسلطة والحياة.

كانوا قدوة للعلماء في احترام العلم ومعرفة قدره؛ فقد أراد الرشيد أن يسمع حديث رسول الله ﷺ من مالك وهو في المدينة؛ فأصرَّ مالك على أن يكون الدرس في بيته، لا في بيت الخليفة. وقال للرشيد: العلم يُزار ولا يزور، فلما أن جاء الخليفة إلى البيت جلس بجوار مالك، فطلب منه مالك أن يجلس بين يديه كما يجلس أي طالب علم، ولم يزد الرشيد على أن استجاب طالبًا أن يخلو المجلس من غير المقربين. وكان مالك إذا دخل على مجلس المهدي في المدينة وقف بعيدًا ثم قال للخليفة: أين يجلس شيخك؟ فيفسح له الطريق ويجلسه بجواره.

وكانوا قدوة في نصح الخلفاء والحكام، فقد سأل المنصور العباسي ابن طاووس أن يحدثه عن أبيه بوجود الإمام مالك؛ فحدثه أن أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في سلطانه فأدخل عليه الجور في حكم. ويعلق الإمام مالك فيقول: فضممت ثيابي خوفًا من أن يصيبني دمه.

وشكا قوم من المدينة واليها الحسن بن زيد بن منصور، وكان الفقيه ابن أبي ذئب حاضرًا فقالوا للخليفة: سل ابن أبي ذئب عنه، فقال ابن أبي ذئب: أشهد بأنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه، فقال الوالي للخليفة: سله عن نفسك. فقال أبو جعفر: فيمَ تقول فيَّ. فقال: أويعفيني أمير المؤمنين. فقال: واللهِ لتخبرَنِّي. فقال: أشهد أنك أخذت المال من غير حقه، وجعلته في غير أهله. فتحرَّك أبو جعفر من موضعه، ووضع

يده على قفاه، وقال: واللهِ لولا أنا لأخذت فارس والروم والترك والديلم هذا المكان منك، وأطلق سبيله وقال: واللهِ لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك.

ويدخل المهدي مسجد الرسول ﷺ فيقوم الناس جميعًا إلا ابن أبي ذئب. فقال له المسيِّب بن زهير: قم، هذا أمير المؤمنين، فأجاب: إنما يقوم الناس لرب العالمين. فقال الخليفة المهدي: دعه، فقد قامت كل شعرة في رأسي.

ويقول الرشيد للفضيل بن عياض: ما أزهدك؟ وكان الفضيل من كبار الزهاد، فيقول الفضيل: أنت أزهد مني. فيقول الرشيد: كيف؟ فيقول الفضيل: لأني أزهد في الدنيا، وأنت تزهد في الآخرة، والدنيا فانية والآخرة باقية.

والأئمة قدوة في الاستمساك برأيهم. ولقد كانت وقفة أحمد بن حنبل في محنة خلق القرآن وثباته على رأيه وهزيمة ثلاثة من خلفاء بني العباس لَمِمَّا يبيِّض له وجه العلم، وترتفع هامات العلماء. لقد دفع إلى ساحة المعتصم، والناس يتوقعون أن تضرب رأسه، وكان قد ضرب عنق رجلين قبله، فلم يزد الإمام على أن نظر إلى صاحبه أبي عبد الرحمن الشافعي فقال: أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح؟ فجُنَّ أحمد بن أبي دؤاد، أحد رؤوس الفتنة، وقال: انظروا رجلًا هو ذا يقدم لضرب عنقه يناظر في الفقه.

وكان الأئمة قدوة في السياسة، ولم يكونوا ناصرين لحاكم، وإنما قدوة للناس، يتصرفون حيث يملي عليهم الدين والخلق أن يتصرفوا. وكانوا قدوة في البعد عن السلطان. فقد عرض القضاء على أبي حنيفة فامتنع وأوذي بسبب امتناعه. وكان الإمام أحمد يرى أن العالم إذا تقرب إلى السلطان فكأنه قد جرَّ على نفسه الداء، ويقول في ذلك: الدنيا داء، والسلطان داء، والعالم طبيب؛ فإذا رأيت الطبيب يجرُّ الداء لنفسه فاحذره.

وقد كان الأئمة قدوة في التعفف من مال السلطان. ولكل من الإمام أحمد والإمام أبي حنيفة في ذلك أخبار كريمة. فقد ظل أبو حنيفة يرفض مال المنصور حتى اتهم أنه يعاديه ولا يستحل ماله.وكان الإمام أحمد، وهو في حالة قاسية من شظف العيش، يرد الآلاف التي يبعث بها المتوكل العباسي استرضاء بعد فعل أبيه المعتصم به؛ فكان يرفضها وهو في أشد الحاجة إلى دينار، ويمنع أولاده من تقبلها. ويذهب الأمر بإبراهيم الحربي تلميذ الإمام أحمد، حين بعث إليه المعتضد بألف دينار أن يقول لرسول الخليفة: قل لأمير المؤمنين أن يتركنا، وإلا تحولنا من جواره. وقد وصل الرشيد الإمام الشافعي بآلاف من الدنانير بعد براءته من تهمة الخروج عليه، فما يكاد الإمام، وكان لا يزال في الثلاثين ونيف، يصل إلى باب القصر حتى يوزعها على الحجاب والخدم.

لقد كان الأئمة الأربع أئمة في العلم والدين والخلق والتعفف والسلوك والترفع عن الصغائر، ومن ثم كانوا أحسن قدوة لمن يريد الاقتداء من الخاصة والعامة، ومن العلماء والسواد. وأما أخبارهم في الزهد والتعبد والورع والتقوى، فالكتب التي تترجم سيرتهم مترعة بها ■

محمد بن سلمان ينفق مبالغ فلكية على أشياء شخصية فيما يعلن التقشف والحرب على الفساد في المملكة

كشفت جريدة «نيويورك تايمز» الأميركية مفاجأة جديدة، حيث أعلنت أن ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان اشترى قصرًا فارهًا في فرنسا مقابل ٣٠٠ مليون دولار، لينضم هذا القصر إلى جملة المبالغ الفلكية التي ينفقها الأمير الشاب منذ وصول والده الى الحكم في السعودية قبل نحو ثلاث سنوات. وتأتي هذه المفاجأة الجديدة بعد فترة وجيزة من كشف «نيويورك تايمز» ذاتها أن الأمير محمد بن سلمان البالغ من العمر ٣٢ عامًا دفع ٤٥٠ مليون دولار أميركي لشراء لوحة فنية تضم رموزًا مسيحية، وهو أكبر مبلغ تم دفعه في تاريخ البشرية مقابل لوحة فنية، كما كانت وسائل الاعلام الأميركية كشفت أيضًا في وقت سابق أن الأمير اشترى يختًا فارهًا عندما زار فرنسا مقابل ٥٥٠ مليون دولار، وهو اليخت الذي ربما يكون الأغلى في العالم. وتقول الصحيفة إنه بالكشف عن هذا المنزل فان ابن سلمان يكون قد أنفق ١,٣ مليار دولار أمريكي مقابل شراء ثلاث أشياء فقط: لوحة ليوناردو ديفينشي مقابل ٤٥٠ مليون دولار، ويخت للرحلات البحرية مقابل ٥٥٠ مليون دولار، ومنزل في فرساي مقابل ٣٠٠ مليون دولار. وتشير الصحيفة الى أنه بينما أنفق الأمير مليار و٣٠٠ مليون دولار على هذه الرفاهيات الشخصية، فإنه في هذه الأثناء فرض حالة من التقشف على البلاد بأكملها، وشن حملة اعتقالات واسعة بدعوى تطهير السعودية من الفساد، وأجبر أمراء ورجال أعمال وأثرياء على التنازل عن أموالهم بحجة أنهم حصلوا عليها بطرق غير مشروعة.

إيهود باراك يحذّر من تمرد على حكومة نتنياهو

حذّر رئيس الوزراء (الإسرائيلي) السابق، إيهود باراك، خلال مشاركته في مهرجان في منطقة الأغوار، من أن «سياسة الحكومة الحالية الأكثر تطرفًا، قد تؤدي إلى تمرد داخل (إسرائيل) من قبل قيادات الجيش؛ لأنها تقضي على حل الدولتين وتدفع باتجاه الدولة الواحدة». وقال باراك «إن سياسة الدولة تدفع باتجاه دولة ثنائية القومية تؤدي إلى وضع يرفض فيه كبار المسؤولين في الجيش الإسرائيلي وجهاز الأمن العام (الشاباك) الأوامر». كما رجّح أن «المجتمع المدني سيثور، وسيدفع بمئات آلاف الإسرائيليين إلى الشوارع، وسيغلقونها بأجسادهم». كما لفت إلى أنّ «هذه الحكومة تقود أجندة قومية تلعب على وتر التهديدات الوجودية، وأن بنيامين نتنياهو متخصص في مثل هذا الأمر، أن يخلق هتلر في كل عام. في كل مرة هناك هتلر حاضر وجاهز، ويهددنا بمحرقة جديدة».

محكمة عسكرية تقضي بحبس عقيد في الجيش المصري عقب إعلان نيته للترشح للرئاسة

قررت محكمة شمال القاهرة العسكرية، حبس العقيد بالقوات المسلحة أحمد قنصوة لمدة ست سنوات مع الشغل والنفاذ على خلفية إعلان نيته الترشح للرئاسة المصرية. وواجه قنصوة تهمًا بنشر فيديو يتناول فيه بعض الآراء السياسية، ومخالفة التعليمات والأوامر العسكرية، بحسب تصريحات أدلى بها محاميه أسعد هيكل لـ«مدى مصر». وكان قنصوة أعلن اعتزامه الترشح لرئاسة الجمهورية، وذلك برغم عدم قبول استقالته من الخدمة العسكرية، وذلك في خطاب نشره عبر حساباته الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي أواخر شهر نوفمبر الماضي. ورغم أن باب الترشح للانتخابات الرئاسية لم يفتح بعد، إلا أنه حتى الآن وبخلاف قنصوة، أعلن المحامي خالد علي، ورئيس الوزراء الأسبق أحمد شفيق، اعتزامهما الترشح في سباق ٢٠١٨م. وتراجع شفيق عن إعلانه بعد ترحيله إلى القاهرة من دولة الإمارات.

وزير الدفاع الأمريكي يؤكد أن بلاده لن ترد على إيران عسكريا

أكد وزير الدفاع الأمريكي جيم ماتيس أن رد الولايات المتحدة على الأنشطة الإيرانية «المزعزعة للاستقرار» في الشرق الأوسط لن يكون عسكريًا، مشددًا على أنه لن يتعدى الإطار الدبلوماسي. وقال الوزير الأميركي للصحافيين «عسكريًا، كلا» الولايات المتحدة ليست لديها أي نية للرد بهذه الطريقة على إيران، وذلك غداة إعلان السفيرة الأميركية لدى الأمم المتحدة نيكي هايلي أن الصاروخ الذي أطلقه الحوثيون على السعودية الشهر الفائت هو من صنع إيراني، في اتهام سارعت طهران إلى نفيه. وأضاف الجنرال المتقاعد من سلاح مشاة البحرية الأميركية (المارينز) «لهذا السبب فإن من كانت هناك هي السيدة هايلي وليس أحد جنرالاتنا»، مشيرًا إلى أن «هذا جهد دبلوماسي هدفه أن نظهر للعالم ما تقوم به إيران».

وزير الخارجية السعودي:
المملكة لديها خارطة طريق لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع (إسرائيل)

قال وزير الخارجية السعودي عادل الجبير، إن المملكة العربية السعودية لديها خارطة طريق لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع دولة الاحتلال (الإسرائيلي). واعتبر الجبير أن الإدارة الأميركية جادة بشأن التوصل لاتفاق سلام بين الفلسطينيين و(الإسرائيليين) لكنها لا تزال تعمل على تفاصيل خطتها المقترحة. ويقود جاريد كوشنر مستشار ترامب وصهره المساعي لاستئناف المفاوضات، لكن محاولاته لم تحقق تقدمًا يذكر حتى الآن. وقال الجبير وهو سفير سابق للولايات المتحدة لقناة «فرانس ٢٤» في وقت متأخر أمس الأربعاء:

«نعتقد أن إدارة ترامب جادة بشأن إحلال السلام بين الإسرائيليين والعرب». وأضاف: «يعملون على أفكار ويتشاورون مع كل الأطراف وبينها السعودية ويدمجون وجهات النظر التي يعرضها عليهم الجميع. قالوا إنهم يحتاجون لمزيد من الوقت لوضعها (الخطة) وعرضها». وغيِّر قرار ترامب بشأن القدس عقودًا من السياسة الأميركية وتجاهل التوافق الدولي على أن وضع المدينة ينبغي أن يتحدد من خلال «اتفاق سلام» يبرم في المستقبل.

سفير فرنسا في مصر: الحديث عن إقامة دولة فلسطينية في سيناء جنون!

اعتبر السفير الفرنسي في القاهرة ستيفان روماتيه أن الحديث المتردد عن إنشاء دولة فلسطينية بشبه جزيرة سيناء المصرية، «جنونًا وغير واقعي». جاء حديث روماتيه على هامش ندوة انعقدت في الجامعة الأميركية بالقاهرة حول مستقبل أوروبا، بحضور نظيره البريطاني لدى مصر، جون كاسن، وسياسيين وأكاديميين. ووفق ما نقلته الوكالة الرسمية المصرية للأنباء (أ ش أ). وأوضح السفير روماتيه، في الحديث ذاته، أن بلاده «لن تنقل سفارتها لدى (إسرائيل) من تل أبيب إلى القدس حتى يتم التوصل لتسوية نهائية في القضية الفلسطينية». وأشار إلى أن قرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب، الأسبوع الماضي، حول الاعتراف بالقدس عاصمة (لإسرائيل) ونقل سفارة بلاده إليها، «أمر محزن»، و«نختلف معه». وعقب «إن واشنطن خسرت دور الوسيط في عملية السلام بعد قرارها الأخير». وفي تصريحات مماثلة، اتفق مع روماتيه نظيره البريطاني كاسن، قائلًا إن بلاده مختلفة تمامًا مع قرار ترامب. وشدد السفير البريطاني على عدم وجود أي نية لدى بلاده لنقل سفارتها للقدس. وهناك مواقف رسمية عربية وفلسطينية متوالية عن استبعاد واشنطن كراع لعملية السلام بين فلسطين و(إسرائيل) إثر قرار ترامب الأخير.

لجنة حماية الصحفيين الدولية:
عدد قياسي من الصحفيين خلف القضبان ـ تركيا في المرتبة الأولى ومصر في المرتبة الثالثة

قالت لجنة حماية الصحفيين الدولية التي تتخذ من نيويورك مقرًا لها إن عدد الصحفيين القابعين خلف القضبان حول العالم بلغ رقمًا قياسيًا للعام الثاني على التوالي. وعزت اللجنة في تقريرها السنوي الذي صدر في ١٣ ديسمبر/كانون الأول ذلك إلى تراجع اهتمام الدول الغربية بأوضاع الحريات الصحفية في الدول التي تسجن أكبر عدد من الصحفيين مثل الصين وتركيا ومصر. وقالت مديرة التحرير في اللجنة إيلينا بيسر إن سجن هذا العدد الكبير من الصحفيين دليل على فشل المجتمع الدولي في التصدي للواقع المتردي لأوضاع حرية الإعلام حول العالم. وبدلًا من عزل الأنظمة القمعية بسبب سلوكها التسلطي تهادن الولايات المتحدة الحكام المستبدين مثل

الزعيم التركي رجب طيب أردوغان والرئيس الصيني تشي بينغ، كما أن الخطاب القومي الذي يعتمده الرئيس الأميركي دونالد ترامب وتركيزه على التطرف الإسلامي ووصف وسائل الإعلام التي تنتقده بأنها «كاذبة» كل ذلك شجع الحكام المستبدين حول العالم على سجن الصحفيين. وتأتي تركيا على رأس قائمة سجاني الصحفيين في العالم، فيما تأتي مصر بالمرتبة الثالثة بعد الصين.

ربع سوريا تحت سيطرة الأكراد... و٥ قواعد عسكرية أميركية!

قال قائد «وحدات حماية الشعب» الكردية سبان حمو لـ«الشرق الأوسط»، أمس، إن «قوات سوريا الديمقراطية» حررت مناطق الضفة الشرقية لنهر الفرات من «داعش»، بفضل غطاء التحالف الدولي بقيادة أميركا ودعم جوي ولوجيستي روسي في غرفة مشتركة في دير الزور. وبعد الإعلان الرسمي عن تحرير الضفة الشرقية للفرات، تكون «قوات سوريا الديمقراطية» التي تشكل «الوحدات» الكردية عمادها، سيطرت على معظم «سوريا المفيدة اقتصاديًا» التي تضم آبار ومصانع النفط والغاز ومصادر المياه و٣ سدود ومساحات واسعة من الأراضي الزراعية. وإذا أُضيفت هذه المناطق إلى عفرين شمال حلب، تكون هذه القوات سيطرت على ٢٣٪ من سوريا البالغة مساحتها ١٨٥ ألف كيلومتر مربع. وقال حمو إن قادة «سوريا الديمقراطية» أُبلغوا من مسؤولين أميركيين، بينهم المبعوث الرئاسي بريت ماكغورك، بأن الأميركيين «باقون إلى حين تحقيق الانتقال السياسي في سوريا والوصول إلى نظام سياسي جديد». وأبلغ دبلوماسيون غربيون أن مساعد وزير الخارجية الأميركي ديفيد ساترفيلد سأل وفد «الهيئة التفاوضية العليا» المعارضة في جنيف قبل أيام عن كيفية ضم «سوريا الديمقراطية» إلى العملية السياسية في جنيف. وأضاف: «لم ألحظ أي تغيير أو تراجع في الدعم الأميركي لقواتنا»، لافتًا إلى وجود خمس قواعد عسكرية أميركية: اثنتان في كوباني (عين العرب)، وواحدة في الشدادي، وواحدة في الحسكة، وواحدة في المالكية. وتسعى أنقرة حاليًا للحصول على غطاء روسي آخر لشن عملية عسكرية في ريف عفرين التي يقيم الجيش الروسي أحد مراكزه فيها. وقال حمو: «لا نشكل أي تهديد لتركيا، لكننا سندافع عن أراضينا ضد أي هجوم من أي طرف كان». وتابع: «في حال الاعتداء علينا، سيكون ردنا عنيفًا وقاسيًا».

قال الله تعالى

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢٦ وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٧ ﴾.

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه عطاء بن خليل أبو الرشته أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

يبين الله سبحانه في هاتين الآيتين حكمًا آخر من الأحكام الشرعية في السياق نفسه الذي ذكرناه سابقًا، وهذا الحكم هو أن الحلف بعدم جماع المرأة فوق أربعة أشهر وهو ما يسمى بالإيلاء حكم مختلف عن الأيمان الأخرى التي ذكرناها في تفسير الآية السابقة، فهو هنا إما أن يقسم أن لا يجامع زوجته أربعة أشهر فما دونها أو فما فوقها فيترتب عليه ما يلي:

أولًا: إن كان الحلف على عدم الجماع أربعة أشهر أو أقل من أربعة أشهر فهو لا يسمى (إيلاء) بل هو في هذه الحالة يمين كالأيمان المعتادة، إن نقضه فجامع زوجته قبل المدة التي أقسم عليها يكون حنث بيمينه ويكفر اليمين. وإن لم يجامعها المدة التي حلف عليها - وهي أقل من أربعة أشهر في هذه الحالة - يكون قد برّ بيمينه ولا شيء عليه كما ثبت في الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها -: «**أن رسول الله ﷺ آلى من نسائه شهرًا فنزل لتسع وعشرين وقال: الشهر تسع وعشرون**».

ثانيًا: أن يحلف ألا يجامع زوجته فوق أربعة أشهر، وهو ما يسمى بالإيلاء الشرعي والذي له أحكام بينتها الآيتان الكريمتان، ويكون الحكم على النحو التالي:

أ. إن جامعها قبل أربعة أشهر يكفر عن يمينه وينتهي الأمر.

ب. إن استمر لا يجامعها حتى انتهاء الأربعة أشهر فيوقف ويجبر على أحد أمرين:

أولًا: إما أن يفيء أي يرجع لما كان عليه قبل أن يحلف وهو كناية عن الجماع، ويكفر عن يمينه.

ثانيًا: وإما أن يطلق.

فإن رفض هذا وذاك طلق عليه الحاكم.

وما بيناه آتٍ من دلالة الآيتين الكريمتين المذكورتين على النحو التالي:

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ الإيلاء - في أصله - الحلف الذي يقتضي النقيصة في الأمر الذي يحلف عليه، فيحلف أن يعمل سوءًا أو ينقص من خير على نحو قوله سبحانه ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ آل عمران/آية١١٨ ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ النور/آية٢٢ ثم أصبح له معنى شرعي وهو الحلف المانع عن جماع المرأة.

﴿ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ أي زوجاتهم، وفيه دلالة على أن الإيلاء يختص بالزوجات وليس بالإماء.

﴿ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ التربص هو الانتظار والتوقف، أي أن له أربعة أشهر فقط مهلة وبعدها عليه التوقف لتقرير أحد الأمرين المذكورين فيما بعد.

﴿ فَإِن فَآءُو ﴾ أي رجعوا لما كانوا عليه كناية عن الجماع.

﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ ﴾ فيه دلالة على أن الزوجة لا تطلق بمضي المدة إلا أن يطلقها زوجها أو يطلق عليه الحاكم.

وبالتالي يكون معنى الآية: إن الذين يحلفون أن لا يجامعوا نساءهم فوق أربعة أشهر فإنهم عند مضي الأربعة أشهر يوقفون لتنفيذ أحد أمرين: إما أن يفيئوا ويرجعوا إلى ما كانوا عليه كناية عن الجماع ويكفروا أيمانهم، أو يطلقوا فإذا أبوا طلق عليهم الحاكم.

ويختم الله سبحانه الآيتين:

﴿ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ لما حدث منهم من اليمين على إضرار المرأة تلك المضرة.

﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ سميع لإيلائهم الذي صار منهم طلاقًا، عليم بغرضهم من هذا الإيلاء فيجازيهم بما يستحقونه.

❁❁❁

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا

يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾.

في هذه الآيات البينات أحكام تتعلق بالطلاق بعد أن ذكر الله سبحانه في الآيات السابقة بعض الأحكام المتعلقة بالزواج والمعاشرة بين الأزواج:

١. يبين الله سبحانه أن النساء ذوات الأقراء من الحرائر المدخول بهن إذا طُلقن فعدتهن أن ينتظرن بدون زواج مدة ثلاثة قروء، وأنَّه يحرم عليهن أن يكتمن واقع حيضهن أو حملهن لأي سبب كان؛ لأنَّ العدة تتوقف على صدقهن في ذكر ما في أرحامهن من حيض وحمل كما فسرها ابن عمر، رضي الله عنهما.

ثم إن أزواجهن لهم الحق في إرجاعهن إلى عصمتهم خلال فترة العدة في الطلاق الرجعي أي المرة أو المرتين كما في الآية اللاحقة.

ويحث الله سبحانه الأزواج عند مراجعتهم لأزواجهم أن يكون ذلك بقصد الإصلاح والإحسان في الحياة الزوجية والمعاشرة الطيبة وليس من باب مضايقة المرأة، فلا هو يريدها ولا يتركها.

وفي خاتمة الآية يبين الله سبحانه وجوب أداء المرأة ما أوجبه الله من حقوق عليها لزوجها، وأداء الرجل ما أوجبه الله من حقوق لزوجته؛ فالرجل والمرأة مطالبان بأداء الأحكام الشرعية المتعلقة بهما سواء بسواء من حيث الأداء على وجهه، في الوقت الذي يبين الله سبحانه أن الرجال لهم درجة على درجة النساء وهي التي بينها الله سبحانه في آية النساء ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ النساء/آية٣٤ أي قوامة رعاية؛ فهو المسؤول عن البيت، وصاحب الإذن فيه، وصاحب النفقة على أهله، وغير ذلك من الأحكام المتعلقة بالرجل دون المرأة في هذا الباب.

والله سبحانه هو أعلم بما يصلح مخلوقاته وما يناسب الرجل والمرأة من أحكام، وهو سبحانه عزيز غالب لا يعجزه معاقبة من خالف الأحكام الشرعية رجلًا كان أو امرأةً، وهو حكيم عالم بعواقب الأمور وما يناسبها وما يصلحها.

﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ ﴾ (ال) هنا للعهد فهي عن مطلقات مخصوصات بالحرائر المدخول بهن اللائي يحضن؛ وذلك لأن غير هذا الصنف من النساء عدتهن غير هذه كما قال سبحانه ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾ الطلاق/آية٤ وكذلك التي يتوفى عنها زوجها، فإن عدتها أربعة أشهر وعشر: ﴿ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ ﴾ البقرة/آية٢٣٤. وكذلك فإن الأَمة تَعْتَدُّ بقُرْأَين لأنها على النصف من الحرة: أخرج الدارقطني وغيره عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «**طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان**» وكذلك فإن غير المدخول بها لا عدة لها لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩ ﴾ الأحزاب/آية٤٩.

وقلنا ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ ﴾ (ال) هنا للعهد أي لمطلَّقاتٍ مخصوصات وهن الحرائر المدخول بهن ذوات الأَقْراء، قلنا ذلك ترجيحًا على كونها للعموم، ثم خُصصتْ في (غير الحرائر، وغير المدخول بهن، وغير ذوات الأقراء الصغيرات والكبيرات، وغير ذوات الأحمال)؛ لأن الأنسب في تخصيص العام أن يكون الباقي بعد التخصيص أكثر، وليس أن يكون المخصَّص هو الأكثر كما هو واضح هنا؛ لهذا رجحنا كون (ال) للعهد على كونها للعموم ثم خُصصتْ.

وترجيح العهد بدل الاستغراق أو العموم آتٍ كذلك من ذكر ﴿ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ ﴾ فهي إذن لنساء مخصوصات ذوات قروء.

﴿ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ ﴾ ينتظرن ثلاثة قروء أي إن عدتهن هي ثلاثة قروء.

أما ما هو (القرء)؟ فهو في اللغة يأتي بمعنى الحيض والطهر والراجح هنا أنه (الحيض) لما يلي:

أ. «**روي أن فاطمة بنت أبي حبيش قالت: يا رسول الله إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ فقال ﷺ: لا، دعي الصلاة أيام أقرائك**» وهذا يدلّ أن (القرء) هو الحيض، أيام أقرائك أي أيام حيضك.

ب. عن عائشة أنه ﷺ قال: «**طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان**» في مقابل عدة الحرة ثلاثة قروء أي ثلاث حيضات، فنصف عدة الحرة (نصف ثلاثة قروء) أي قرآن اثنان فيكون القرء هو الحيض. وقد قيل في هذا الحديث إن أحد رواته (مظاهر بن أسلم) لا يعرف له غير هذا الحديث مما اعتبره بعضهم مجهولًا؛ إلا أن ابن حبان وثقه، وقال الحاكم: «مظاهر شيخ من أهل البصرة، ولم يذكره أحد من متقدمي مشايخنا بجرح» ولهذا فالحديث حسن.

أما قوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ الطلاق/آية١ واعتبار أنَّ ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي لأول العدة، وحيث إن الطلاق حسب الشرع هو ما كان بعد الطهر من الحيض، أي إن أول العدة هو الطهر؛ وبذلك يكون القرء هو الطهر كما جاء فيما رواه الشيخان أن ابن عمر - رضي الله عنهما - طلق امرأته وهي حائض فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ ثم قال: «**مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى تطهر قبل أن تمس، فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء**».

فإن هذا القول متوقف على معنى (اللام) في ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ وفي «يُطلَّق لها النساء» و(اللام) في مثل هذه الحالة مشتركة المعنى: فقد تأتي لأول الوقت (كتبت لغرة كذا) فالفعل وقع فيه أي مع دخول الوقت، وقد تأتي بعد الوقت (كتبته لليلة خلت من كذا) أي تم الفعل بعد الوقت، وقد تأتي قبل الوقت (كتبته لليلة بقيت من كذا) أي تم الفعل قبل الوقت، والقرينة هي التي تبين المعنى المقصود.

وهنا يكون (لعدتهن) قبل بدء عدتهن لقرينة وقوع الطلاق، فالطلاق يقع قبل بدء العدة، وهكذا «فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء» أي تطلق النساء قبل عدتهن، وبالتالي فلا تناقض بين اعتبار (القرء) بمعنى (الحيض) كما في الحديثين اللذين ذكرتهما في البداية، وبين حديث الشيخين في موضوع ابن عمر، فإن العدة تبدأ بالحيض. ولما علم رسول الله ﷺ أن ابن عمر طلق زوجته في الحيض أمره بمراجعتها إلى أن تحيض وتطهر ويطلقها في الطهر الذي يسبق بدء العدة من الحيضة التالية، فالطلاق حسب الشرع هو الذي يتمّ في طهر لم تمسّ المرأة فيه قبل بداية العدة من الحيضة التالية، ثم يعد بعدها حيضتان فتكون ثلاثة قروء وتنتهي بذلك عدة المرأة الحرة المدخول بها ذات الحيض.

ولا يقال إن الآية ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ فيها تأنيث للعدد (ثلاثة) أي أن المعدود مذكر (قرء) فكيف يكون قروء بمعنى (حيضات) جمع حيضة؛ لأن العدد حينذاك يكون مذكرًا (ثلاث)؟ لا يقال ذلك لأن العدد يجوز التأنيث فيه إن كان لفظ المعدود مذكرًا بغضّ النظر عن معناه كما نقول (له ثلاث من البط ذكور) فقد جعلت العدد مذكرًا بناءً على لفظ المعدود المؤنث (البط جمع بطة) وهكذا فلفظ (قروء) جمع (قرء) لفظ مذكر فيجوز تأنيث العدد معه. فيجوز أن يعامل العدد مع اللفظ ومع المعنى. أما اللفظ فقد ذكرناه، وأما المعنى فقوله تعالى: ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا**﴾ فالعدد مؤنث وهو يطابق المعدود من حيث المعنى، أي لم يؤخذ المعدود بلفظه (سبط أسباط) بل بمعناه (فرقة فرق).

ولذلك قلنا إن الراجح في معنى (القرء) هو الحيض لأن حديث الرسول ﷺ لفاطمة بنت

أبي حبيش صريح في الموضوع: «**دعي الصلاة أيام أقرائك**» ولحديث عائشة عن عدة الأمة وهو صريح (حيضتان) ولأن اللام في قوله تعالى ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ وحديث الشيخين: «**يطلق لها النساء**» يعني قبل بدء عدتهن كما بيناه أعلاه. ويكون الجمع بين الأدلة يرجح معنى القرء في الحيض، وتكون العدة ثلاث حيضات متتاليات.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ ﴿بُعُولَتُهُنَّ﴾ أزواجهن جمع بعل كعم وعمومة.

﴿أَحَقُّ﴾ ههنا بمعنى حقيق، عبر عنه بصيغة التفضيل للمبالغة.

﴿بِرَدِّهِنَّ﴾ أي برجعتهن في العدة إن كان الطلاق رجعيًا كما في الآية التالية.

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي زمن التربص - فترة العدة -.

والمعنى: أن لبعولتهن حق الرجعة في العدة وذلك في الطلاق الرجعي.

﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ فيه حثّ للأزواج أن يكون قصدهم الإصلاح والمعاشرة الحسنة عند إرجاع زوجاتهم في العدة.

ولا مفهوم لهذا الشرط أي أن الرجعة غير متوقفة على إرادة الأزواج الإصلاح بل لو راجعها فالرجعة جائزة مهما كانت نيته، ففي حديث ابن عمر، عندما طلق زوجته في الحيض، أمر رسول الله ﷺ عمر أن يبلغ ابنه أن يرجعها، ثم بعد أن تطهر وتحيض وتطهر يمسكها إن شاء أو يطلقها، وقد مرّ الحديث، فهنا واضح أن الإرجاع لم يكن لأجل المعاشرة الزوجية أي ليس للإصلاح ومع ذلك صحت الرجعة.

غير أن الزوج الذي يراجع زوجته للإضرار بها حتى لا تنتهي عدتها فتسرح منه وإنما يريد أن يبقيها على عصمته بالمراجعة إضرارًا بها وليس للمعاشرة الزوجية فهذا آثم بنص الآية ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ البقرة/آية ٢٣١ وهي نهي جازم أي تحريم إمساك المرأة مضارة لها.

٢. يبين الله في الآية الثانية أن الطلاق الذي يملكه الرجل ويراجع زوجته في العدة هو تطليقتان ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾، فإن طلقها الأولى فله أن يراجعها خلال العدة وليس شرطًا رضى الزوجة، لكنها إن بقيت دون مراجعة حتى إذا انقضت عدتها فتصبح أجنبية عن زوجها السابق، ولا يجوز له الزواج منها إلا بعقد ومهر جديدين، أي أن رضاها شرط كأي عقد زواج، وهذه الحالة المسماة في الفقه البينونة الصغرى.

وهكذا إذا طلقها الثانية، ولا يملك الرجل في الإسلام غير هاتين الطلقتين برجعة.

أخرج الترمذي عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعًا قالت: «**كان الناس**

والرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة أو أكثر، حتى قال رجل لامرأته والله لا أطلقك فتبيني ولا آويك أبدًا. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك. فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها، فسكتت عائشة حتى جاء النبي ﷺ فأخبرته، فسكت النبي ﷺ حتى نزل القرآن ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ فكان الحدّ الأقصى لطلاق الرجعة للرجل مرتين».

أما إن كانت الزوجة عند زوجها وقد مضى عليها طلقتان من زوجها وراجعها خلالهما، فإن حقه من الطلاق مع الرجعة قد انتهى وبالتالي يكون له أحد أمرين:

﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾ أي استمرار الزوجية بحسن الصحبة وحسن العشرة وطاعة الله سبحانه ورسوله ﷺ فيما بينه من حقوق الأزواج وواجباتهم.

أو ﴿تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ أي أن يطلقها الثالثة وهو ما بينته الآية الثالثة.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾.

وذكر ﴿بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ فيه دلالة على أن لا يضارها في الطلاق؛ فلا يأكل حقها بتضييق الخناق عليها في الطلاق كما تبينه الآيات اللاحقة ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾.

أما لماذا قلنا إن ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ هي بعد استنفاذ الطلقتين، أي هي للزوجة الموجودة في عصمة زوجها بعد أن مضى عليها طلقتان، ولم نقل إنها المراجعة بعد الطلقة الأولى والثانية، فيمسك بمعروف أو لا يراجع حتى تنقضي العدة فيكون هنا تسريحًا بمعروف، وتصير المرأة بذلك أملك لنفسها.

إن السبب أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال: إن الطلقة الثالثة هي التسريح بإحسان وبالتالي أصبح المعنى كما قلنا: إن الزوجة التي في عصمة زوجها، إن كان قد مضى عليها طلقتان؛ فإن زوجها حينذاك إما أن يستمر معها بالمعروف من حسن الصحبة وحسن المعاشرة، أو يطلقها الثالثة ويسرحها بإحسان.

أخرج ابن مردويه من طريق أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة قال «**إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**». وفي رواية ابن أبي حاتم من طريق أبي رزين الأسدي أين الثالثة؟ قال ﷺ: «**التسريح بإحسان**».

بعد ذلك يبين الله سبحانه أنه لا يحل للأزواج أن يأخذوا شيئًا مما قدموه لزوجاتهم من مهور مقابل أن يطلقوهن، بل إن أراد الزوج طلاق زوجته فليطلقها بإحسان دون أن يضارها ليأخذ شيئًا مما آتاها ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا﴾. (يتبع)

(الاستغفار العام) حاجة كلُّ مسلم

روى البخاري في "الأدب المفرد" **أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أعلم".**

- **قوله: "قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ"** أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد غير آمن من الوقوع في الشرك لشدّة خفائه الذي هو أخفى من دبيب النمل، فقد يقع فيه العبد، ويتسلّل إلى نفسه وهو لا يعلم، ولا يدري. والمراد بالشرك هنا الرياء والسمعة والعجب (الشرك الخفي) وهذه الذمائم لا تذهب عن الرجل ما لم يعرف نفسه. وهكذا ينبغي على العبد أن يراقب نفسه، ويحاسبها بين الحين والآخر حتى لا يقع فيه. ومع هذه المراقبة والمحاسبة، عليه أن يتعوَّذ من الوقوع فيه، وأن يبذل كل الأسباب في الابتعاد عنه: قولاً، وفعلاً، وأن يكثر من هذا الدعاء العظيم. ولولا أن الله سبحانه سيستجيب للعبد ويهيئ له أسباب عدم الوقوع فيه متى دعا ربه بهذا الدعاء لما طلب منه التعوذ به.

- **أما قوله: «وَأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أعلم».** فما أكثر الذنوب التي يفعلها الإنسان، وهو لا يدري كونها ذنوبًا، ولا ينجي من هذه المخطرة العظيمة إلا التوبة العامة التي تأتي على جميع الذنوب، ما أحاط به العبد وما لم يُحط به. وهذه التوبة تنفعه، بإذن الله، فيمحى بها عنه ما اقترفه من الإثم، قال شيخ الإسلام، رحمه الله: والناس في غالب أحوالهم لا يتوبون توبة عامة مع حاجتهم إلى ذلك، فإن التوبة واجبة على كل عبد في كل حال؛ لأنه دائمًا يظهر له ما فرط فيه من ترك مأمور، أو ما اعتدى فيه من فعل محظور، فعليه أن يتوب دائمًا.

قال المحقق ابن القيم، رحمه الله: الْمُبَادَرَة إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ فَرْضٌ عَلَى الْفَوْرِ، وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا، فَمَتَى أَخَّرَهَا عَصَى بِالتَّأْخِيرِ، فَإِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ بَقِيَ عَلَيْهِ تَوْبَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ تَوْبَتُهُ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ، وَقَلَّ أَنْ تَخْطُرَ هَذِهِ بِبَالِ التَّائِبِ، بَلْ عِنْدَهُ أَنَّهُ إِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ

آخَرُ، وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ، وَلَا يُنْجِي مِنْ هَذَا إِلَّا تَوْبَةٌ عَامَّةٌ، مِمَّا يَعْلَمُ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَمِمَّا لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَعْلَمُهُ، وَفِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَكَيْفَ الْخَلَاصُ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»، فَهَذَا طَلَبُ الِاسْتِغْفَارِ مِمَّا يَعْلَمُهُ اللَّهُ أَنَّهُ ذَنْبٌ، وَلَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ. وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ إِلَهِيٌّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**». وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ**»، فَهَذَا التَّعْمِيمُ، وَهَذَا الشُّمُولُ لِتَأْتِيَ التَّوْبَةُ عَلَى مَا عَلِمَهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَا لَمْ يَعْلَمْهُ.

وإذا علم هذا، فإن أمره صلى الله عليه وسلم أن يقول العبد: وأستغفرك لما لا أعلم، واضح المعنى، فإنه يستغفر مما لا يشعر بكونه ذنبًا، أو من ذنب كان ارتكبه ونسيه، فيستغفر استغفارًا عامًا يأتي على جميع ذنوبه.

قال الحافظ ابن رجب، رحمه الله، في شرح قوله صلوات الله عليه وسلامه: «وأستغفرك لما تعلم» يعم جميع ما يجب الاستغفار منه من ذنوب العبد، وقد لا يكون العبد عالمًا بذلك كله، فإن من الذنوب ما لا يشعر العبد بأنه ذنب بالكلية، كما في الحديث المرفوع: «**الشِّرْكَ أَخْفَى مِنْ هَذِهِ الْأُمَّة مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**»

فمن الذنوب ما ينساه العبد ولا يذكره وقت الاستغفار، فيحتاج العبد إِلَى استغفار عام من جميع ذنوبه - ما علم منها، وما لم يعلم - والكل قد علمه الله وأحصاه، قال الله تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ}.

ومن جميل ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في شمول الدعاء قوله: «**اللهم ما كان بيني وبينك فاغفره لي، وما كان بيني وبين الناس فتحمله عني**»، فإنه دعاء شامل للذنوب التي يرتكبها المسلم ويكون فيها مسؤولًا عنها أمام ربه، والذنوب التي يفعلها المسلم بحق غيره.

يعتبر الاستغفار من أجلّ الطاعات وأفضل القربات، وكيفما يستغفر العبد ربّه فإنّه يكون فيه على خير. أما سيّد الاستغفار فهو أن يقول المسلم: «**اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنّه لا يغفر الذّنوب إلا أنت**» ■

حدائق ذات بهجة

- كان الشعبيُّ، نَديمُ الخليفةِ عبد الملك بن مروان، كوفيًا، تابعيًا، جَليلَ القَدْرِ، وافرَ العلمِ. حكى الشعبيّ فقال: أنْفَذَني عبدُ الملك بن مروان إلى ملكِ الرومِ. فَلمّا وصلتُ إليه جَعل لا يسألُني عن شيءٍ إلا أجبتُه. وكانت الرُّسُلُ لا تُطيلُ الإقامةَ عندهُ، غَيرَ أنَّهُ استبقاني أيامًا كثيرةً، حتى استحثثتُ خُروجي. فلما أردتُ الانصرافَ قال لي: مِن أهل بيتِ الخليفة أنت؟ قلت: لا، ولكنّي رجلٌ مِن عامةِ العرب. فَهَمَسَ لأصحابهِ بشيءٍ، فدُفعتْ إليّ رقعةٌ، وقال لي: إذا أدّيتَ الرسائلَ إلى الخليفة فأوصلْ إليه هذهِ الرُّقعةَ. فأديتُ الرسائلَ عِندَ وصولي إلى عبد الملك، ونسيتُ الرقعة. فلما خرجتُ مِن قصرِهِ تذكّرتها، فرجعتُ فأوصلتُها إليه. فلما قرأها قال لي: أقالَ لك شيئًا قبل أنْ يَدفَعَها إليكَ؟ قلت: نَعم، قال لي: مِن أهلِ بيتِ الخليفةِ أنت؟ قلت لا، ولكنّي رَجلٌ مِن عامةِ العرب. ثم خرجتُ من عند عبد الملك، فلما بلغتُ الباب ردّني، فلما مثلتُ بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة؟ قلت: لا. قال: اقرأها. فقرأتُها، فإذا فيها: "عجبتُ مِن قومٍ فيهم مثل هذا كيف ملّكوا غيرَه!" فقلت له: والله لو عَلِمتُ ما فيها ما حَمَلتُها، وإنما قال هذا لأنه لم يَرَك. قال عبد الملك: أفتدري لِمَ كَتَبَها؟ قلت: لا. قال: حَسَدني عليك، وأرادَ أن يُغريني بِقَتلك. فلما بلغت القصَّةُ مَسامِعَ ملكِ الروم قال: ما أردتُ إلا ما قال!

- تحدث الشعبي عن أعرابي كان يجالسه ويطيل الصمت، فقال له الشعبي: ألا تتكلم؟ فقال الأعرابي: أسكتُ فأسلم، وأسمع فأعلم، إنَّ حظ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره.

- كان للشعبي أقوال جرت مجرى الحكمة على لسانه، وكلها تنطق بالإسلام، ومن ذلك: لا تمنعوا العلم عن أهله فتأثموا، ولا تحدثوا به غير أهله فتأثموا. وقوله: من زوَّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها. وقوله: ما بكيت من زمان إلا بكيت عليه. وقوله: أسقني أهون موجود وأشد مفقود (يعني الماء). ومن حكمته أن رجلًا أقذع فيه، فقال له: إن كنت صادقًا غفر الله لي، وإن كنت كاذبًا غفر الله لك.

- ذكر بعض أهل العراق إمامة أبي بكر وعمر وعثمان بسوء أمام الإمام جعفر الصادق، فغضب لذلك، وقال لهم باستنكار: أنتم من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم؟ قالوا: لا. قال: أنتم من الذي تبوؤوا الدار والإيمان؟ قالوا: لا. فقال مؤنباً: ولستم من الذين جاؤوا من بعدهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾. ثم استطرد فقال: قوموا عني، لا قرَّب الله داركم، تُقرون بالإسلام، ولستم من أهله ■

سياسات ترامب وموقفها من القدس تعزل أميركا وتكتل العالم ضدها!

صوتت ١٢٨ دولة في الجمعية العامة للأمم المتحدة لصالح قرار يدعو الولايات المتحدة إلى سحب اعترافها بالقدس عاصمة (لإسرائيل)، فيما اعترضت ٩ دول، وامتنعت ٣٥ دولة عن التصويت لصالح القرار الذي استبقته واشنطن بالتهديد بوقف المساعدات المالية التي تقدمها لتلك الدول. تعليقًا على هذا الموقف الجامع من أغلب دول العالم ضد القرار الأميركي، كتب باتريك وينتور المحرر الدبلوماسي في صحيفة «غارديان» قائلًا «إن بلطجة وتهديدات ترامب في موضوع القدس هي أخبار سيئة للأمم المتحدة، إذ أن موقف أميركا المتحيز من (إسرائيل) قد ينتهي بقطع واشنطن التمويل عن المنظمة الدولية».

وأشار وينتور في مقالته إلى خطاب الرئيس ترامب أمام الجمعية العامة في أيلول (سبتمبر) المنصرم الذي جاء فيه «إن الدول القوية ذات السيادة تسمح لعدد من الدول ذات القيم والثقافات والأحلام المختلفة ليس للتعايش فقط ولكن العمل جنبًا إلى جنب في الأمم المتحدة وعلى قاعدة الاحترام المتبادل» إلا أن المشهد تغير بعد ثلاثة أشهر، حيث تعرضت الدول المتنوعة نفسها لتهديدات من سفيرة الرئيس الأميركي نيكي هيلي التي قالت إنها ستسجل أسماء الدول التي لم تدعم قرار الولايات المتحدة نقل سفارتها إلى القدس والاعتراف بالمدينة كعاصمة (لإسرائيل).

ولمحت هيلي إلى أن الدول التي تتحدى قرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب ستواجه عقوبات. وكان ترامب واضحًا عندما قال إن فشل الأمم المتحدة دعم قراره سيكون انتصارًا لسياسة «أميركا أولًا» حيث «ستوفر الكثير». وقال «لا نهتم، ولكن الأمر مختلف حيث كانوا يصوتون ضدك ثم تدفع لهم ملايين الدولارات. ولن يستفيد أحد منها منذ الآن». ويقول الكاتب معلقًا إن «القوة الناعمة» التي تم تعريفها بـ «إنها القدرة للحصول على ما تريد من خلال الجذب لا الإكراه» فإن ترامب يمارس عكسها تمامًا، حيث إنه أحد أكبر الداعين لدبلوماسية الإكراه. وهذا يعود في جزء منه إلى أن ترامب هو نتاج عقلية ظلت تنظر للأمم المتحدة على أنها مركز المشاعر المعادية لأميركا والفساد والتبذير.

الوعي: إن تصويت ١٢٨ دولة ضد قرار الولايات المتحدة الأميركية بشأن القدس أمر لافت، لكنه يقيناً ليس من أجل إنصاف المظلومين، أو لتحقيق العدل في هذا العالم. فالدول التي قادت هذه الحملة بزعامة بريطانيا وفرنسا وغيرها دول عريقة في الاستعمار وفي استعباد الشعوب واستغلالها وإذلالها وما زالت تمارس نفس الدور بشكل أو آخر. وهذه الدول لا تأبه بفلسطين أو العرب أو المسلمين ولا تهتم إلا بمصالحها. بل إن بريطانيا نفسها احتفلت منذ أسابيع قليلة بالمناسبة المئوية لوعد بلفور المشؤوم بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين. وهي التي شكلت هذا الكيان المسخ، ودعمته بكل الأشكال الممكنة حتى وقف على قدميه، بعد أن أسقطت الدولة العثمانية ومزقت المسلمين ونصبت عليهم أراذل يسومونهم سوء العذاب. إن الموضوع عند هذه الدول ليس تحرير القدس من الاحتلال، وليس هو كذلك إعطاء الفلسطينيين أو العرب أو المسلمين شيئًا من حقوقهم، فهذا آخر همهم. إنما الموضوع عندهم هو محاولة لجم الجشع الأميركي الذي يريد أن يتحكم في مصير العالم ويلتهم خيراته بمفرده. ويجد هؤلاء في سياسات ترامب وسقطاته الكثيرة فرصة نادرة لنبذ أميركا وتحجيم دورها وتكتيل العالم ضدها.

أبرز ملامح استراتيجية ترامب الجديدة للأمن القومي

بعد أقل من عام على توليه منصبه، كشف ترامب عن استراتيجيته الجديدة للأمن القومي، في خطاب ألقاه في العاصمة واشنطن. نلخص هنا أبرز ملامح هذه الاستراتيجية الجديدة:

١- حماية الولايات المتحدة والشعب الأميركي: وذلك من خلال تعزيز السيطرة على الحدود، وإصلاح نظام الهجرة لحماية الوطن، واستعادة السيادة، ومواجهة التحديات والتهديدات العابرة للحدود الوطنية المتمثلة بـ«الإرهابيين الذين يستخدمون العنف الوحشي، والمنظمات الإجرامية التي تمزّق مجتمعاتنا بالمخدرات والعنف». لذلك فإن الولايات المتحدة «تستهدف التهديدات في مصدرها قبل أن تصل إلى الحدود أو تسبب ضررًا للشعب الأميركي. وذلك من خلال مضاعفة الجهود لحماية البنية التحتية الحيوية والشبكات الرقمية ونشر نظام دفاع صاروخي متعدد الطبقات للدفاع عن الولايات المتحدة ضد الهجمات الصاروخية».

٢- تعزيز الرخاء الاقتصادي: وذلك من خلال تجديد الاقتصاد الأميركي لصالح العمال والشركات الأميركية، وعدم التسامح مع الانتهاكات التجارية المزمنة؛ ولذلك يجب على الولايات المتحدة أن تكون رائدة في مجال البحوث والتكنولوجيا والابتكار إضافة إلى حماية قاعدة الابتكارات الأمنية الوطنية ممن يسرقون الملكية الفكرية مع ضمان أن تظل أسواق الطاقة العالمية مفتوحة، وأن تعزز فوائد التنويع والوصول إلى مصادر الطاقة التي تعزز الأمن الاقتصادي والوطني.

٣- الحفاظ على الأمن والسلام الدولي من خلال إعادة بناء القوة العسكرية الأميركية لضمان بقائها في المرتبة الأولى، واستخدام الولايات المتحدة جميع الأدوات الدبلوماسية والمعلوماتية والعسكرية والاقتصادية لحماية مصالحها، إضافة إلى تعزيز القدرات عبر مجالات عدة - بما في ذلك الفضاء والإنترنت - وتنشيط القدرات التي أهملت ودفع حلفاء الولايات المتحدة وشركائها إلى احترام مكانتها وقوتها وحماية المصالح المشتركة، مع الحرص على الحفاظ على توازن القوى لصالح الولايات المتحدة في المناطق الرئيسية من العالم: الهند والمحيط الهادئ وأوروبا والشرق الأوسط.

٤- مواصلة تعزيز النفوذ الأميركي في الخارج من خلال الجهود الدبلوماسية والتنموية للولايات المتحدة لتحقيق نتائج أفضل في مختلف المجالات، وفي مجال المعلومات - لحماية المصالح الأميركية، وإيجاد فرص اقتصادية جديدة للأميركيين والسعي إلى إقامة شراكات مع الدول ذات التوجهات المماثلة من أجل تعزيز اقتصادات السوق الحرة ونمو القطاع الخاص والاستقرار السياسي والسلام. ولتحقيق ذلك يجب أن تبرز السياسة الخارجية الأميركية نفوذ الولايات المتحدة في العالم كقوة إيجابية.

الوعي: تركز الاستراتيجية الأميركية الجديدة على أربعة محاور رئيسية هي حماية الولايات المتحدة الأميركية، ودعم ازدهار الاقتصاد الأميركي، والحفاظ على الأمن الدولي من خلال إظهار القوة الأمريكية، وتوسيع النفوذ الأميركي في العالم لفرض أجندتها فيها. وتشكل الاستراتيجية التي عرضها ترامب استفزازًا واضحًا للقوى الدولية، إذ تحاول فرض النفوذ الأميركي وتأمين مصالح أميركا واعتبارها أولاً في كل شيء بشكل فج مقرون بسياسات فعلية تعكسها على أرض الواقع، ما يعمق الهوة مع العالم ويدفع كل دولة لديها وزن إلى استنفار قواها واتخاذ إجراءات مضادة لحماية نفسها، ما عدا المسلمين الذين يحكمهم ويتحكم بهم رويبضات ولا يوجد لديهم كيان سياسي واحد يمثلهم كأمة، ما يعني أنهم في موقع المفعول به لا الفاعل، وفي موقع العاجز عن حماية أنفسهم فضلاً عن التأثير في السياسة الدولية.